الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية

العدد الاول

السنة الأولى

من كتاب العدد

دمشق أيار ١٩٥٨

صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة
مجلة ثقافية ادبية شهرية

ص ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١

العدد الاول
(ايار) ١٩٥٨
السنة الاولى

هذه المجلة

في هذا الظرف الخير ، الذي تبزغ فيه الحقيقة العربية ناصعة على التاريخ تظهر هذه المجلة لتأخذ قسطها من المساهمة الجدية وليكون ثمة ادب وفعالية اجتماعية واعية ، ولتوقظ الحس الفني والشاعرية السمحة والادب الاصيل الكامن في كل خلجة نفس ووراء خفقة كل قلب . والادب والفكر والفن اشياء يبقى لها اثرها الاعمق الاعظم في المسؤولية الابعد اثراً وانتاجاً .

ان روح الحضارة التي نحاولها اليوم في هذه الثورة البناءة لتبحث عن ينبوعها الحقيقي تحت ريشة كل فنان وخفقة كل وتر وانتفاضة كلمة او فكرة . والانسان ـ الانسان العربي ـ هو الذي سيتضح اكثر فأكثر بين كاتب اصيل وقارىء واع على هذا التماوج بين طرفي العمل المبدع محاورة خالدة بين الحرف المكتوب والوعي المتلقي باصرار الحياة وعمقها .

ومجلة « الثقافة » ترمي بمشروعها الى عالم المستقبل الغاص بالمشاريع البناءة الاخرى بعد ان انبلج صبح الوحدة وظهرت ارادات الطموح والحماس والامكانيات الفاتحة في هذا الجيل النبيل الذي هو جيلنا ، جيل مهما قيل عنه ، فهو يحيا عصر المعجزة بالنسبة لأمته ، عصر عودة التاريخ لازاحة الستار عن المجد العربي الامثل .

ان هذه الافتتاحية عندما تبدا المجلة حياتها بها ، انما تتراود على قلم كاتبها ذات الآمال والاحلام التي تراود كل انسان يأخذ نفسه بمشروع ضخم بين مشاريع امتنا الجديدة . ولكن هذه المجلة يمكنها ان تأمل بتواضع فسح المجال الصحيح لكل قلم اصيل ، حر ، مسؤول . وهي ذاتها تدرك ان لها مخططها الخاص الذي لن يزحم اعمال بقية المجلات ، والذي يحرص على ان يقدم دائماً ادباً وفكراً طليعيين يسندان الحياة العربية في تطورها الطامح الى الكمال ، سيما وان الاقليم الشمالي لم تظهر فيه بعد مجلة من مستوى قضيته العامة . ان مخططها مستوحى اولاً من كونها مجلة عربية صدرت في اخصب مراحل تاريخ الامة بناء وانشاء وثورية ومستوحى ثانياً من الحاجة الثقافية التي تلح على الكتاب والقراء معاً .

لذلك ، فقد وجهت عنايتها قبل كل شيء الى ابراز « الابواب الثابتة » كالموسيقى والرسم والشعر والرواية والفلسفة ، وفي كل باب حديث عن احد اعلام الابداع الانساني في العالم . هذا الى جانب بعض الزوايا التي يختص بها كاتب قصاص ، وشاعر ونقاد ، وبحاث ، تستطيع ان تخلق صلة صداقة وعطاء بين كاتبها والقارىء .

والمجلة تشعر بمسؤولية خاصة تجاه مساهمتها الاساسية في خلق الفكر العربي ، ولهذا فستعنى بالدراسات القومية التي تتناول اسس حياتنا سواء الماضية منها او الحاضرة . وانها تسعى جاهدة الى المحافظة على الصلة التي يجب ان تنمو وتتأصل بين فكرنا والفكر الانساني عامة ، فخصصت باباً ، منذ العدد القادم ، لعرض مشكلات النقاش الاساسية للذهن المعاصر ... وأبواباً اخرى ستلم بأطراف الثقافة لتقدم خير زاد يحتاجه المثقف الحديث .

وبعد ، فهذه المجلة أمل ... يعيش بين جملة الآمال البكر التي تنطلق من حاضرنا المتحفز للخلق والتعويض عن عصور الجدب والموت . وهي ككل أمل ، تحتاج الى الحب والثقة ولعلها تجدهما في صدر كل متفائل بما ستقدمه من عمل مثمر وانتاج مبدع .

دمشق ١ / ٥ / ٩٥٨

مدحة عكاش

افهام العوام

بقلم

الدكتور عادل العوا

بين الروائع العظمى التي تكشفت عنها ثورتنا القومية الماجدة وقامت على أسسها جمهوريتنا العربية الفتية، ثم نمت سريعاً وانجبت الدول العربية المتحدة بين هذه الروائع الاصيلة ظاهرة أساسية مهمة، يعيرها المفكر اكبر عناية وتقدير وينظر اليها على انها عنصر ثوري ميدانه العقول والقلوب والاذهان، ونعني بها ظاهرة افهام العوام، وقد تجلت منذ قيام هذه الثورة في الاقليم المصري اولاً، وتجسدت في خطب رئيسنا البطل الملهم الى شعبنا العربي في الجامع الازهر، في وطيس معركة القناة، وايضاحه الصريح الجريء، بل ايضاحه الثوري الخطة العسكرية «الاستراتيجية» والتي نهجها اخواننا للافلات من غدر المستعمرين ومكرهم وسعيهم لابادة الجيش المصري في بيداء سيناء..

هذه الظاهرة العظيمة المجيدة، ظاهرة افهام العوام، افهام الناس، افهام الشعب، كل الشعب، وجميع الناس؛ افهام هؤلاء المواطنين الذين شعروا، اول مرة، منذ عهد بعيد بأنهم ليسوا عبيداً، وليسوا بمستعبدين. بل فهموا من ابنهم البطل وبلغتهم ذاتها، فهموا ان المعركة، معركة الكرامة ليست معركة فئة ولا طبقة ولا ملك ولا زعماء، بل هي معركة أمة بأسرها، ومن حق هذه الامة، وحق هذا الشعب كل الشعب، ان يعرف حقاً وصدقاً الاهداف التي يرمي اليها والاغراض التي يضحي في سبيلها، ويلم بالجوانب الصعبة الكأداء الماثلة بالجوانب الزاهية المشرقة في معترك كفاحنا القومي العظيم.

ولعل أهمية هذه الظاهرة الثورية الاصيلة، ظاهرة افهام العوام، انما تتضح على وجه أعمق، اذا نحن رجعنا الى تاريخ هذا الشعب عينه، وعرفنا ماأصابه من تخدير وتعطيل، باعد الحاكم من المحكومين، وجعل المواطنين رعية كالانعام، اوهم أضل سبيلا، وصارت امور السلطات خاصة بطبقة الملوك والحكام والولاة والسادة الامراء، وقضي على الشعب والجمهور، قضي على العامة، قضاء مبرماً بأن يمتنعوا عن التفكير حتى أنهم اذا شاهدوا منكراً لم يبت واجبهم السعي الى ازالته بل الحرص على التغاضي عنه وتجاهله او التجمل بالصبر والصمت والسكوت، ان لم نقل ان واجب الناس امسى بأن يقنعوا انفسهم بان الشر ليس بشر والمنكر ليس بمنكر، لسبب واحد هو ان هذا الشر والمنكر انما يجري به واحد من طبقة الملوك او الحكام او السادة الامراء.

اجل، اننا لانتوخى الغلو، ولا نتعمد الاثارة، ولا نستهدف المجازر، بل نصف الوصف الامين حالا من احوال الشعب العربي، عرفها منذ تكالبت عليه المحن والارزاء في عصر الانحطاط، وهو عصر طويل طويل، ولم ينقذه انقاذاً جماعياً سوى هذه الظاهرة الثورية حقاً، بل الظاهرة التي هي في نظرنا اسس الثورة وعمادها، ظاهرة افهام العوام.

لنرجع اذن الى عصور خلت، ولنقرأ عنوان احد الكتب التي صنفها عالم ذكي بارع اديب، لانحسب ان في تاريخ الفكر العربي باحثاً يفوقه شهرة وتأثيراً، ونعني به زين الدين، حجة الاسلام، ابا حامد الغزالي، رحمه الله، واحسن اليه، قدر اخلاصه وسلامة طويته فيما قصد وابتغى.

كتاب الغزالي الذي نشير اليه عنوانه: الجام العوام عن علم الكلام. جاء فيه بالنص قول الامام الآتي: «اعلم ان الحق الصريح الذي لامراء فيه عند اهل البصائر هو مذهب السلف، وهو الحق عندنا ويجب على عوام الخلق فيه سبعة امور هي: التقديس ثم التصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الامساك ثم الكف ثم التسليم لاهل المعرفة. وليس مجالنا هنا بمتسع لايراد امثلة وشروح توضح كل وظيفة من هذه الوظائف باسهاب، وانما الذي نكتفي به، ونقتصر عليه، ان نلخص موقف العلماء من العامة، وموقف العامة من العلماء.

يقول الغزالي: ليس من شرط من خاطب العقلاء بكلام ان يخاطبهم بما يفهم الصبيان. والعوام بالاضافة الى العارفين كالصبيان الى البالغين. ولكن على الصبيان ان يسألوا البالغين عما يفهمونه، وعلى البالغين ان يجيبوا بان هذا ليس من شأنكم ولستم من اهله».

وبتعبير آخر : ينبغي على العامي ان يؤمن ويصدق ولو قصر فهمه عن الادراك والاستيعاب . وعليه فوق ذلك ان « يسكت عن السؤال ، ويمتنع عن الخوض فيما هو وراء طاقته » وان يسلم لاهل المعرفة من العلماء والعقلاء والاولياء « وهم الذين جاوزوا في المعرفة حدود العوام » ولذا يصرح الغزالي بان « السكوت عن السؤال واجب على العوام ، لانه بالسؤال متعرض لما لا يطيقه ، وخائض فيما ليس اهلا له » . ولو اتفق ان تجرأ الانسان العامي بالسؤال وجب الجامه ومنعه وضربه بالسوط . يقول الامام : « من اطعم الصبي الضعيف اللحم والخبز ، او مكنه من تناوله فقد اهلكه . وكذلك العوام : اذا طلبوا بالسؤال هذه المعاني يجب زجرهم ومنعهم وضربهم بالدرة » .

ولا يتردد حجة الاسلام ، والاسلام دين الوعي والتبصر والعلم لا يتردد في منع عامة الخلق عن التفكر في مواضيع علم الكلام قائلا : « لو اشتغل العامي بالمعاصي البدنية ربما كان اسلم له من ان يخوض في البحث عن معرفة الله تعالى ، فان ذلك غايته الفسق ، وهذا عاقبته الشرك ! » .

بقي ان نذكر ان علم الكلام هذا انما يمثل لباب الفكر العربي في اوج ازدهار الحضارة الاسلامية ، عندما اتسعت رقعة البلاد العربية ، وانصرف الفكر الشعبي ، أي الرأي العام للأمة العربية كما نقول بلغة اليوم ، انصرف الى الوعي والنمو والازدهار . وليس يخاف ان علم الكلام « الرهيب الممنوع » يمزج العقل بالنقل ، والمنطق بالشريعة ، ويريد ان يحفظ للانسان كرامته على اعتبار الانسان مواطناً كريماً منحه الله عقلا به يحكم على الامور جميعاً ، الامور الدينية والدنيوية على السواء ولكن المبادىء الصوفية لم ترض بالعقل حكما ، وسعى الصوفيون الى حد عمل العقل والفكر ، وطلبوا الى الناس ، عامة الناس ان يؤمنوا بمذهب السلف لانه مذهب سلف وحسب ، لا بحسب ماينجلي لعقولهم وبصائرهم ، فهذا هو شأنهم وواجبهم وهدفهم « والعتبة ، كما يقول الغزالي ، هي آخر الميدان وهي موقف جميع العوام ومردهم ، لا سبيل لهم الى مجاوزتها ، فان جاوز واحدهم استوجبوا الزجر والتنكيل » .

ولا تحسبن ايها القارىء الكريم ان الخطل خطل الغزالي وحده ، بل ان من الانصاف ان نعترف بان الغزالي كان يترجم في هذا المجال تياراً فكرياً عميقاً عنيفاً ، هذا التيار « الارستقراطي »

اقول : التركي - الفارسي ، هو الذي انجب مواقف الترفع عن الناس ، وازدراء العامة ، واوجب على هؤلاء الخنوع والخضوع والايمان بعصمة الائمة والملوك والخلفاء والحكام والسادة الامراء . ويكفي ان نقرأ في بعض كتب تراثنا العربي الامر المقدس الآتي لنعرف مدى خطر هذه الخرافة . يقول القائل : « انك ان رأيت الامام بعينيك يزني ويشرب الخمر ويأتي الفواحش ، انك لا تنكر ذلك بقلبك ولا بلسانك ولا يخاطبك الشك فيه انه صواب وحق » .

على هذا النحو رأى الغزالي وأضرابه من مؤدبي الجماهير وقادة الاتباع وائمة الاشياع ان من الواجب الجام العوام عن علم الكلام ، اي الجامهم عن التفكير الانتقادي الواعي الصحيح في جميع شؤون معاشهم ودينهم على السواء ، ففرضوا التواكل والاستسلام والصبر والتجاهل والتغافل والخنوع ، ومكابرة المحسوس ذاته عند الاقتضاء ، حرصاً على بقاء العامة في مستوى وجودها اللائق ، لان العامي كالصبي ، ينبغي ان يظل عاجزاً قاصراً ضعيفاً ، واذا تمرد زجر ، وان سأل رد ، وان الح في التمرد ، والحف في السؤال ، وشاء ان يعلم وجب زجره وضربه والنكال به ، كل ذلك « صوناً له وحفاظاً عليه » .

اما الثورة ، ثورتنا العربية القومية ، فهي وحدها التي شاءت ان ترفع عن كاهل الشعب العربي هذا الذل الرهيب ، وشاء الله ان تتجلى في وثبة شاملة خلاقة امينة ، ثورة الشعب للشعب حقاً ، فكان هدفها احترام المواطنين ، كل المواطنين ، ولذا جاء شعارها : افهام العوام ، لا الجام العوام .

السينما بين الثقافة والأدب

بقلم
الدكتور ابراهيم الكيلاني

ان المفكرين والعقلاء في عصرنا يخشون مزاحمة الراديو والسينما للكتاب ، تلك الاداة الفكرية الحضارية السامية ، وصار يتراءى لهم من بعيد شبح هذين الاختراعين الحديثين اللذين أخذا في صرف الناس عن الكتاب وتزهيدهم بالمطالعة بعد أن يكونوا قد اكتسبوا من جراء ذلك عادات جديدة تحصر الفعالية الفكرية في دائرة المسموعات والمرئيات والصور بدلا من الكلام والجمل ذات الترابط المنطقي والتسلسل المعقول .

ان المنافسة بين الكتاب والسينما حقيقة واقعة ، وهي آخذة في الاشتداد تبعاً لنمط الحضارة التي نعيش فيها ، ويرى بعضهم أن الكتاب سيظل محتفظاً بميزات لاتستطيع السينما انتزاعها منه ، وهـذا مايدعو المفكرين الى التفاؤل بمصير الكتاب ، وعقبى المنافسة بينه وبين عدوته اللدود السينما ، وذلك أن للكتاب كما يقولون وقعاً وصدى في نفس القارىء لاتملكهما السينما ، فالاسلوب الادبي بما فيه التعبير اللفظي صورة أو انعكاس للصوت الانساني الحي المفكر ، فليس في الامكان والحالة هذه الاستعاضة عنه بغيره من الوسائل ، وقد اكثر السينمائيون من الكلام عن نسق وسرعة الاسلوب السينمائي ، والحقيقة أن السينما تبدو اذا ماقورنت بعملية المطالعة اكثر بطءا في الرواية والحكاية والتحليل والفهم ، كما أن الصور أقل سرعة في عملية الانشاء من الكلمات ، حتى اذا جربنا ان نعبر عن رواية من الروايات المشهورة بواسطة الصور دون ان نهمل فصلا أو مقطعاً منها فان هـذا العمل يقتضينا ساعات كثيرة ، والدليل أن المخرجين يلجؤون عند اخراج أثر أدبي في السينما الى الحذف والبتر في كثير من مواضع الاثر وفصوله. وقد أثبتت التجارب انه من الصعب اخراج أثر أدبي جليل بواسطة السينما دون ان يصاب هذا الاثر بالتحريف والتشويه والتبديل والتحويل ، ومرد هذا الى طبيعة السينما القائمة على فكرة التسلي الجماعي ، فهي لاتستطيع ان تكون مادة تفكير للفرد المنعزل ، ولهذا صعب على السينما أن تكون أداة ثقافية كما كان يظن أنصار تثقيف الجماهير ، وفي استطاعتنا ان ننقل الى النظارة جميع الآثار الفذة التي تركها العباقرة كشكسبير وغوته وفلوبير وسرفنتس وغيرهم ، فماذا عسى يبقى بعد حين في أذهان هذه الجماهير ؟ لاشيء سوى أسماء الممثلين والممثلات وصور مبعثرة مبهمة لاتلبث أن يطغى عليها النسيان في أيام معدودة، ثم أننا لانؤمن بوجود حقيقي للمثل السينمائي فهو لايعطينا شيئاً من نفسه في اللحظة التي نرقبه فيها كما هو شأن الممثل المسرحي ، فقد سبق ان خلف صورة كما تخلف الشجرة الجافة ورقتها .

ان السينما ماض أبدي ، متواصل ، وليست حاضراً حياً ، وكيان الادب يقوم على أسس فكرية لابصرية ، أي أنه يؤثر في الانسان بواسطة التصورات العقلية ، في حين أن السينما تقوم على المؤثرات الحسية ، فهي شبيهة بالفنون التصويرية والموسيقى ، ولذا فان السينما لاتعبر الا عن العموميات ، وكل حادثة مستعارة من الرواية أو المسرح ، والتي تتطلب مشاهد مكتومة مفسرة للحوادث والوقائع تثقل السينما وتخرجها عن حيز غرضها ووسائلها .

على أن هذا كله لاينفي مانسميه بالثقافة السينمائية ، وهي التي تغذي أكثرية الجماهير في عصرنا الحاضر فان رجل الشارع مثلا الذي بلغ الخمسين من عمره لم يتح له منذ تركه المدرسة قراءة أكثر من عشرة أو عشرين كتاباً على ابعد تقدير ، الا أنه شاهد بدون شك ثلاثمائة شريط سينمائي او أكثر او اقل ، فاذا كان هذا الرجل يعلم أشياء كثيرة عن الحياة البحرية او سكان الاصقاع الشمالية او صيد الوحوش في مجاهل افريقيا فقد تعلم كل ذلك ليس في الكتاب بطريقة تحليلية للكلمات المجردة المجموعة بصورة منطقية برباط الالفاظ ، بل بواسطة السينما بطريقة تأثرية ، حدسية ، حسية ، بواسطة صور مرصوفة متتابعة بسيطة تركيبية هي في الحقيقة اقرب الى الحياة ، وعلى الرغم من تعرض هـذه المعلومات لتأثير النسيان والتلاشي الزمني فهي تؤلف قسماً من ثقافة الرجـل المتوسط ، وتدل هذه الظاهرة على أن الثقافة الكتبية والكلامية لابد أن تفسح المجال الواسع للثقافة الصورية التي تشكل السينما احدى عناصرها القوية.

ان المقصود بالثقافة هنا ليست المعارف التي تحوزها اقلية اختصاصية عالمة متعمقة في دراسات طويلة بـل هذا الرصيد المتنوع من المعارف التي يمتصها الذهن دون تعمد والتي تشكل الطابع العام الشامل لثقافة زمن من الازمان . فهي ثقافة محدودة ، سطحية ، ولكنها واسعة الانتشار بصورة دائمة ،

يستفيد منها الناس ويعدون على أثرها مثقفين على غير دراية او شعور منهم ، هي تلك الثقافة التي تغذي بها السينما لا الكتاب ذاكراتنا وخيالاتنا بصورة قوية .

ولرب سائل يقول : من اين أتت هـذه القدرة الثورية عند السينما ؟ والجواب انها أتت من آلة السينما نفسها،والسينما كما نعلم أداة دقيقة من أدوات العـلم ، لم يتوصل العقل الانساني المبدع الى ايجاد وسيلة تفوقها في ضبط الاشياء وابراز الحقائق وحصر الدقيق منها فالسينما ترد الينا الحياة في اطار من الحركة فتتيح بذلك وسائل ومصادر للفنان والعالم معا . ولنتصور أديباً اوعالماً يسرح نظره بين الاشياء والكائنات مبدياً اعجابه بمفاتن الطبيعة وسحرها الخالد، ولنفرض أنه مزود بآلة سينمائية يصور بها مايشاهده فيكون بذلك قد حقق اعجوبة في تسجيل جمال الطبيعة ومناظر الاشياء في آنيتها الزائلة وسيلانها الآبق والكشف عن جوانبها الخفية أو المبتذلة ، أو التي استنفدت جمالها المراقبة والملاحظة والنظر . وهكذا نرى من خلال الآلة السينمائية صفات الثقافة السينمائية تلك الآلة التي هي مصدر الثقافة وناشرتها ، ومن المعلوم في تاريخ الحضارات الانسانية ان الآلة تطبع عقلية العصر التي ظهرت فيه ، وكما أن المطبعة طبعت العقل الانساني ونقلتـه من طور الى آخر فكذلك الآلة السينمائية فهي تناهض الطرق والمناهج التي تقوم على القيم الثابتة والمفاهيم المحدودة والمدركات القائمة على التجربة العلمية في عالم ثابت ، راسخ ، قوي ، وهذا يعـني ان الثقافة السينمائية آخذة في هدم الاشكال التعبيرية الجامدة ، والكلام البياني المزوق الجميل المقول منه أو المكتوب كما انها آخذة في زعزعة الثقافة العقلية الكلاسيكية التي تنزع دوما الى تأليه العقل وتقعيد عالم العواطف المتموج ، ووضعه في قوالب ونماذج جامدة ، فالسينما مدرسة لامنطقية ، رومانطيقية ، مادتها الصور ، بعيدة عن نطاق الاستيعاب والاستنتاج والاغراض القياسية .

تلك هي الخطوط الاساسية للثقافة السينمائية ، وهي ثقافة انقلابية لها أثرها في العقل البشري ، ومن هنا يتضح خطرها على الكتاب والثقافة ، ومما يزيد في خطرها ، سهولتها ومجاراتها لروح العصر القائم عـلى السرعة والسطحية فليس في امكان الكتاب المؤلف من الكلمات والجمل والاشارات المجردة والتركيب المنطقي ان ينقل الفكر ويحدث الهزة العاطفية او العقلية الا من وراء عملية عقلية معقدة ، ثقيلة ، واذا علمنا ان الشريط مؤلف من صور حسية رباطها المنطقي ضعيف وبسيط تتغير رموزه وصوره ومحتواه ومعناه في كل لحظة نجد ان الجملة ومعناها لايتغيران الا ببطء وفي مدة أجيال ، وكما أن سرعة الصورة تنجيها من التحليـل والدرس فان ديمومـة الكلمة وثباتها لايسمحان لها بذلك .



قيل إن السينما فن جديد لايزال في طور الطفولة ، فقد ولد منذ نصف قرن أو اقل فليس له اذن كالتصوير والموسيقى والنحت ماض طويل ، حتى لقد ذهب بعضهم الى عدم اعتبار السينما فناً كبقية الفنون فلاينظرون اليها الا من زاوية التعليم في الافلام العلمية أو التثقيف . وقد يذهب المرء الى السينما بعد أن يقرأ أثراً أدبياً فذا ليقارن على سبيل امتحان معرفته وذاكرته مايراه على الشاشة مع ماقرأه ، فيصاب في أغلب الاحيان بخيبة لانه لم يستشف من خلال الفلم أسلوب المؤلف أو شخصيته أو نمط كتابته فيحكم بعجز السينما عن تمثيل الاثار الادبية وقـد اثبتت الاحصاءات التي أجريت في السنين الاخيرة عن فشل السينما في اخراج الاثار الادبية العالمية ، ولعل من أسباب هذا الاخفاق تمسك الجماهير وعبادتها لشخصية « البطل » فالبطل السينمائي أسطورة خيالية تعيش في هالة القدسية بل الالوهية وهي التي تجذب بسحرها وجاذبيتها وجمالها الجسماني الجمهور الى قاعة العرض اكثر من قيمة « الفلم » الذاتية وهكذا فان المخرجين يوزعون الادوار لاحسب المؤهلات التمثيلية والمقدرة الفنية التعبيرية بل حسب الشهرة التي يتمتع بها بطل دون آخر في زمان ومكان محدودين . وهناك سبب آخر هو ان بعض المخرجين الذين عرفوا بالنزاهة والامانة ونقاوة الوجدان المهني يحرصون على احترام الاثر الادبي ، يتجلى هذا الاحترام بعدم الاستغناء عن الحوادث كما وردت في الاصل لتبقى الرواية او القصة كما وضعها مؤلفها ،وقد يذهبون الى نقل النصوص والمحاورات الادبية حتى لتبدو هذه كأنها آتية من عالم آخر فيعلم المتفرج عندئذ انه ازاء عمليتين مختلفتين احداهما للنظر والاخرى للسمع او تجاه محاورات طويلة لانهاية لها وخاصة اذا كان الاثر المنقول على الشاشة رواية فلسفية او اخلاقية وهذا معناه ان الاثر الادبي

لكي يضمن لنفسه نجاحا يجب ان يتحول الى لغة سينمائية تبقى على صلة مع النص الاصلي ، ومن المعلوم ان لكل اثر ادبي هيكلا ذاتياً ، وخاصة الرواية فهي مقسومة الى فصول او اجزاء وهي تقص قصة تجري حوادثها في اوقات عدة ، وبذلك يسهل على كاتبها ان يقفز عدة سنين الى الوراء او الامام لان طبيعة الفن الروائي تجيز له ذلك ، وقد يستطيع باعتماده على الفصول والاجزاء ان يتصرف في زمان القصة اما في السينما فان المتفرج يستهجن الانتقال وسط « الفلم » عدة سنين الى الامام ففي العرض اتصال خطي متتابع يجعل من المتعذر بل من المزعج احداث هذه الثغرة اثناء العرض في حين يستطيع قارىء الرواية ان يستريح عن القراءة فيطبق الكتاب على أن يعود اليه مرة أخرى دون أن يفقد شيئاً من متعة المطالعة ولذة التسلسل .

ثم أنه يحرم على المخرج أن يغير من تركيب الرواية ليكيفها حسب الوضع السينمائي بل يجب عليه أن ينتقي من الرواية أشياء كثيرة لا يستطيع المخرج الاحتفاظ بها جميعا فعليه اذن ان يقتطع منها بعض الاجزاء او يوسع ويوضح بعضها الاخر وان ينتخب الحوادث الهامة المميزة ويحذف العادي التافه حتى اذا تم هذا كله امكن للمخرج ان يعطي المشهد المنتخب كل قوته التعبيرية ومعانيه الخفية والصعود بها الى حد الرمزية السينمائية .

على ان بعض الروايات خلو من الوقائع والحوادث كالروايات التحليلية والفلسفية والاجتماعية كروايات دوستوفسكي او بلزاك فهنا تغدو مهمة المخرج شاقة اذ يجب عليه ان يستغني عن المحاورات النفسية والاحاديث الداخلية لان السينما كما هو معلوم فن خارجي آفاقي لا داخلي يظهر النواحي الحسية الظاهرية ومن الصعب التعبير بواسطة الصور عن حـــالات النفس وثورات الفكر والعاطفة وتأملات العقل .

وقد تلجأ السينما احيانا الى اسلوب « الصوت الخفي » حيث نسمع صوتا خفيا يحاور الممثل ويوحي اليـــه بمختلف الحلول الوجدانية او العملية التي يتخبط ازاءها ولكن هذا الاسلوب لم يلق نجاحاً الى الان بل كان أقرب الى التفاهة منه الى التأثير المطلوب ولذلك فشلت السينما في تصوير البطل الذي يحاول بحركاته وصوته واشاراته اظهار حالته النفسية ، ولكي تظهر السينما العالم الداخلي بواسطة تركيب الصور يجب عليها ان تستعين بالرمز وذلك بتجسيد الاشياء المجردة واعطائها روحا ومعنى ، والسينما على الرغم من كونهـــا فناً حسياً فهي تشترك بقيمتها الرمزية التي تضفيها على العالم الخارجي مع بقية الفنون التصويرية فقد تستطيع الى حد ما ليس تصوير نفسيات الاشخاص وابرازها على الشاشة بل ايجاد نوع من العلاقة بين العالمين الخارجي والداخلي فهي بتصويرها بعض المناظر على شكل وترتيب خاص يكتشفها المخرج تستطيع أن توحي الى المتفرجين الحالة النفسية المنشودة فنستغني بذلك عن الكلمات والجمل والمحاورات . وخلاصة القول فان السينما فن يقوم على الحركة ، اما الادب او الرواية فهو فن يقوم على التحليل والوصف وهما اداتان تعبيريتان مختلفتان ، الاولى تعرض امامنا اشخاصا متحركين يتطورون في اطار معلوم لا يمكن الوقوف فيه على الدقائق والمفردات طويلاً في حين انه يمكن للكاتب في الثانية الوقوف عند الاشخاص وتحليل نفسياتهم وطباعهم ووصف ملابسهم وحركاتهم مما يصعب فعله في العالم السينمائي . اما القول بأن قيمة الاثر الادبي تضيع عند نقله على الشاشة البيضاء فذلك لان للسينما مقتضياتها الخاصة وهي في محاولتها نقل النص المكتوب الى صور سينمائية تجعل من النص الادبي لوحات اجمالية يمكن الاحاطة بها بنظرة سريعة فتضيع علينا بذلك أشياء كثيرة جميلة لا يمكن التعويض عنها في « الفلم » بالغاً ما بلغ هذا من الدقة .

فجر البعث والانسان

شعر يوسف الخطيب

اخي ، ان عشت ذل الامس مغلوباً على امرك
ذراعك هـذه الشماء ، لم ترضخ الى امـــرك
حطمت بها الحديد ، ورحت والتاريخ في اثرك
تصارع لجة الاقـــدار ، تمعن في خطى ثأرك
فقم ، واسحب رداء العز مختالا على فجـــرك
فمن صدري تورد صبح امتنا ، ومن صـدرك

* * *

اخي في القـدس ، ذاك جبينك المتطلع الاسمر
كلافتة على درب المعـــاد الشائك الاوعر
كلافتة تقول حروفها : لابــد ان اظفر
فخل على الزناد يداً ، وخل يــداً على الخنجر
وان جفن غفا في الليـــل ، خل رفيقه يسهر
لان عليك يوم الغمرة الموعود ان تثـــأر

* * *

اخي في الشام ، أي غـــد على الفيحاء ينسحب
واي ارادة هاجت على الاحـــداث تصطخب
كذلك تزحف الاقدار ، او يتأجـج اللهب ..
ملامح من بني غسان شابت دونهـــا الحقب
اذا ماقيلت الفيحاء ، قيـــل العز والنسب
وتفتح صفحة ذهبية عنوانهـــا .. العرب

* * *

اخي في النيل قم واعصف بقـدرة زندك القادر
اخي ، وازحف بكل شبابك المتمرد الثـــائر
أعد في خـاطر الايام سيرة مجـــدنا الغابر
فكم ساح لنا دون العروبة مضـــرم ساعر
نريق عليه قربان الفـــدا من جرحنا الفائر
وحق ثراك ياوطن البطولة ، كلنا ناصـــر

* * *

اخي في قمة الاهراس ، نعلك يسحق النـــذلا
يتيه على رقاب المجرمـــين ، يسومها الذلا
فلن ترضـــى لموطن عقبة الجبار محتـــلا
سقيت ترابه الصادي عطاء الروح والبـــذلا
فلا تيأس ، نفرنا عنـــد صوتك نجمع الشملا
نردد في المدى المخضوب ، ملء الارض ، بن بللا

* * *

اخي في حضرموت ، لأجل هامك أغصن الغار
لاجل جبينك المزهو تقحمه لظى النـــار
طلعت على ذئاب الفاتحـــين بألف اعصار
فلم تذعن لطاغوت ، ولم تحفـــل بجبار
.. هناك عمان ، والبحرين ، تغتليان بالنار
تكاد تقول : شيبان على ساحات ذي قار

* * *

اخي عند الفرات ترود عـــبر الليل .. حرية
مهرت لها دماك سخية الشريان وردية
عيناً بالدم الغـــالي ، بأرض منه مروية
بأعناق مضرجـــة ، من الصلبان ملوية
ستمضي تكسر الاصفاد ايدينا الحديـــدية
غداة غد ، وتقذفهـــا الى وجه العبودية

* * *

اخي في المغرب الجبار ، في بغداد ، في السودان
اخي في الخندق المخضوب ، أو في وحشة الزنزانان
جراحك حيث انت ، وجرح قلبي هاهنا سيان
ميادين العروبة - ماتناءت - كلها ميدان
فقم وانظر شواطئنا يجر ذيوله القرصان
ويولد من مخاض الليل فجر البعث والانسان

قصة بلا عنوان

بقلم
الفة عمر باشا الادلبي

قال الاديب لصديقه التاجر وقد جمعتهما المصادفة بعد فرقة طويلة في مقهى هادىء على ضفاف بردى :

لكم تقت الى الاجتماع بك في مثل هذا المكان الهادىء المنزوي ، وأنت بعيد عن مشاكلك ومشاغلك التي لاتنتهي . لأنني أحب - ولو اتهمتني بالفضول - أن اسألك عن سبب هذه الكآبة التي أصبحت تلازم محياك أينما وجدت . أين اختفى مرحك المطبوع ؟؟ وأين توارت ابتساماتك الحلوة التي كانت تضيء محياك الجميل ؟ أنت يامن ضحك لك الحظ كما لم يضحك لمثلك ابداً . .

فلاح على فم التاجر ظل ابتسامة مالبث ان توارى ثم قال :

هذا ما اعتدت ان اسأل عنه نفسي دائماً ، والى الآن لم أجد جواباً يرضيني ويروح عني . نعم يا اخي منذ ضحك لي الحظ كما تعتقد أنت ويعتقد كثير من الناس امحت الابتسامة من على شفتي ولم أعد اعرفها الى رياءاً وتكلفاً .

فضحك الاديب وكان صاحب نكتة لاذعة لايدعها تفوت ولو في احرج الاوقات وقال :

ياليت الحظ اذاً عبس لك وتولى ، وترك لك ابتسامتك الحلوة تضيء محياك الجميل ، وولى وجهه نحوي أنا لكنت والله عرفت كيف احوله الى ضحكات بل قهقهات . .

قال التاجر :

هذا صحيح ربما استطعت ذلك فيما اذا لم تدفع الضريبة الفادحة التي دفعتها انا !

فابتسم الاديب بخبث ثم قال :

لقد اصبحت يا اخي تاجراً عريقاً تحشر الضرائب في كل مناسبة ومنها تستمد استعاراتك

قال التاجر :

لا لا ليس هناك استعارة ولا تشبيه . انها ضريبة بمعناها الصحيح لم ادفعها مالاً ولكنني دفعتها امرأة ! امرأة وضاءة كالقمر هفهافة كالنسيم ، رقراقة كالسلسبيل ، سلختها عن روحي ، اقتلعتها من قلبي ، وظل مكانها خالياً خاوياً وظللت بعدها كئيباً ملتاعاً كما تراني .

ففكر الأديب قليلاً ثم قال :

ان ماتقوله يا أخي ليصلح قصة تكتب

قال التاجر :

اكتبها ياصديقي ارجوك . انه ليشوقني ان اراها مكتوبة على الورق ليقرأها الناس وليعلموا ان السعادة ليست مالاً وافراً ، او جاهاً عريضاً كما كنت احسبها وباء حسباني بالفشل . وهاك القصة :

كانت هي زميلتي في المحل التجاري الذي كنت اعمل به وأنا شاب فقير مغمور .

وما كانت لترى في المحل ابداً الا عندما تنصرف منه مساءاً او تدخله صباحاً حية خجول ، خفيفة رشيقة تحيي كل من وقعت عيناها عليه من موظفي المحل او مستخدميه بايماءة أو ابتسامة ، ثم تختفي خلف احد الابواب لترتقي بضع درجات توصلها الى سقيفة صغيرة معتمة وهناك كانت تستقر خلف ماكينة للخياطة تخيط عليها اكياساً من الورق ثم تملؤها بنوع من البضاعة وتصفها بجانبها . وكان علي ان اصعد اليها من حين لآخر لآخذ ما انجزته وأضعه في المكان الذي أعد له في المحل .

ما اقسى الحياة ياصاحبي وما امرها !!.. في ذلك المكان الضيق المعتم وبين قصاصات الورق واكداس الغبار كان على هذه الصبية الوضاءة ان تقضي زهرة العمر . لانها ما كانت لتنشد من الحياة سوى أن تعيش شريفة موفورة الكرامة .

كانت تنتمي الى أسرة طيبة غدر بها الدهر فرضيت الصبية بهذا العمل المضني الذي يقوم بأودها ويحجبها عن عيون الفضوليين والثرثارين . لم أرها مرة متبرمة أو ناقمة ، كانت تبدو دائماً قانعة راضية تعمل بسكون وهدوء والابتسامة لاتفارق محياها الوديع . وكانت هي الانثى الوحيدة التي تعمل في المحل . ولا اكون مغالياً اذا قلت لك ان كل واحد من موظفي المحل السبعة جرب مغازلتها . فكانت تعرف كيف توقفه عند حده بلباقة وحسن تصرف دون ان تسيء اليه . الا أنا فقد تركتني أتمادى في مغازلتها . ولم يمض على تعارفنا امد طويل حتى تعاهدنا على الزواج وقد اصبحت عاشقاً معشوقاً . قتل الانسان ما اكفره ! هل بعد هذه السعادة من سعادة ؟؟

لقد اشعرتني هذه الفتاة بتفوقي فكبرت في عيني نفسي عندما فضلتني على ستة شباب من زملائي وفيهم من يفوقني مالاً وجاهاً ، وبعثت في ثقة بالنفس ونشاطاً عجيباً وتفانياً في حب

العمل . كنت ابذل كل مافي وسعي لأبدو في عينيها لائقاً بالمكانة التي منحتني اياها ، ولم ابد لائقاً ممتازاً في عينيها فقط . لقد بدوت كذلك ايضاً في عيني السيد (أبي الوفا السعدي) صاحب المحل الذي كنا نعمل فيه معاً وكان (ابو الوفا السعدي) رغم مرضه لايتخلف يوماً عن المجيء الى المحل ويجلس دائماً في صدره يراقبنا جميعاً بعين ثاقبة فلا تفوته شاردة ولا واردة ، وقد لاحظ نشاطي واندفاعي في سبيل العمل فراح يزداد بي اعجاباً يوماً فيوماً حتى اصبح يعهد الي دون زملائي بكل مهمة تحتاج الى دراية ومهارة وامانة ، وفي كل مناسبة كان يثني علي ويعدد طيب صفاتي .

وكنت واياها حريصين كل الحرص في ان تظل علاقتنا ببعضنا سراً مكتوماً لاسيما أمام زملائنا الذين لن يرتاحوا اليها ابداً ولابد ان تحرك غيرتهم وتثير حسدهم .

فكان اذا حان موعد الانصراف من المحل خرجت هي قبلي وانتظرتني في منعطف قريب من المحل فاذا وافيتها اليه قمنا بنزهة قصيرة اما على ضفاف بردى وتحت صفصافه الحاني حيث يلفنا الظلام ، وفي ذلك الشارع الانيق الذي ينحدر من ذيل قاسيون حتى ضفة بردى ، فاذا وصلنا آخر الشارع دخلنا تلك الحديقة الصغيرة ذات المنحدرات الخضر ، والتي ينساب فيها نهر صغير ، هنالك كنا نجلس على مقعد قائم على ضفة النهر يدها الناعمة في يدي ، وجسمها اللدن يميل علي ، وعيناها ينبوعان يفيضان عذوبة وحناناً ، هناك كنا نتحدث طويلا ونتخيل مستقبلنا كما نشاء ويشاء لنا الهوى ! ونمعن في الخيال . ولكن واقعنا المرير لايلبث حتى يبرز لنا هازئاً بنا فيقطع علينا الخيال الحلو ويفسد علينا نشوتنا ، ان مرتبي الضئيل لايكفي وحده تكاليف الحياة مهما تدبرنا امرها . فكان عليها اذا ان تستمر في عملها المضني ، وكنت اشعر بغصة كلما فكرت بذلك لانني اريد ان انتشلها من مكانها الضيق المعتم ومن بين قصاصات الورق واكداس الغبار وابعدها عن نظرات زملائي الوقحة ، والتي كثيراً ما كانت تثير حنقي وتحرك غيرتي .

اما هي فكانت تقول :

ــ ما أجمل ان نظل هكذا متلازمين دائماً ابداً ، سنأتي معاً في الصباح ، ثم نفترق انت الى ركنك المخصص لك وانا الى سقيفتي . ومن الكوة الصغيرة سأراقبك وسأطل عليك من حين لآخر وسأراك عندما تبتسم للجميلات من الزبائن وسأنقر لك على الخشب كأني اذكرك : انا هنا موجودة فاياك ان تسترسل ..

وتستمر هي في ثرثرتها واستمر انا في تفكيري وقد بدا امامي الشارع الانيق بدوره الفخمة وحدائقها المنمقة وقد فتحت اكثر الشبابيك فظهرت الثريات الثمينة مدلاة من السقوف تشع انوارها وتتلألأ ، واتساءل فيما بيني وبين نفسي : ماطعم هذه الحياة المترفة التي يعيشها هؤلاء الناس خلف هذه الجدران المزوقة وتحت هذه الثريات المشعة ؟ ان ثمن واحدة منها يكفل لنا النعيم انا وهذه المسكينة التي الى جانبي عاماً كاملا ، ثم تتمثل لي احياؤها الرطبة القذرة ، وحواريها المعتمة ذات الجدران المتداعية ، والانوار الخافتة وامام كل بيت من بيوتها نفايا تنبعث منها روائح النتن والعفن ، فتفلت مني زفرة عميقة وانا اتمتم : أهذا عدل يارب ؟؟.

فتساءلني هي قائلة : ماذا تقول ؟

اقول : ليت لي بعض خلقــك الحسن ، بعض رضاك وقناعتك . فتضغط على يدي قائلة :

وماذا يدريك مايخبيء لنا المستقبل ؟ وأرد هازئاً : وماذا اعتاد ان يخبيء لامثالنا في مثل هذه البلاد ؟.

فتجيبني بلهجة مفعمة بالايمان : لاتكفر فاليأس كفر ، الا يكفي انني احبك وتحبني . فآخذ يدها واطبع عليها قبلة وانا اقول لها سامحيني ياحبيبتي فاذا تمنيت الغنى فمن اجلك انت . فتتمتم . دعك من هذا . فانا سعيدة ..سعيدة جداً مادمت الى جانبك ، وبمثل هذه الاحاديث كنا نتحدث اثناء نزهاتنا الممتعة .

وذات مساء وقد حان موعــد الانصراف من المحل وخرجت هي قبلي كعــادتها دائمــاً واشــارت الي بانها ستنتظرني في المنعطف المعهود ، واخذ الزملاء يخرجون تباعاً ، واذا احدهم وهو المقرب من صاحب المحل يستمهلني قائلا : لي معك حديث هام ، ثم راح يتفرس في وجهي كأنه يراني لاول مرة ثم اقترب مني وهمس في اذني قائلا : اصدقني هل رأيت ليلة القدر ؟ فضحكت هازئاً وقلت له :

ومتى كانت تظهر لامثالنا ؟ قال :

لقد ظهرت لك الآن على مايبدو لي ، فالسيد ابو الوفا معجب بك جداً وقد نوه لي منذ ايام انه يتمنى ان يزوجك من ابنته الوحيدة . وقد طلب مني ان اتحرى عن سمعتك واوافيه بمعلومات عنك . فأطريتك كثيراً ، واثنيت عليك ، ارجوا ان تذكر ذلك جيداً فيما بعد .

فأصابني شبه ذهول من هذه المفاجأة وقلت له :

سأفكر بالأمر . فحملق في وقال :

تفكر بالامر ? يالك من ابله بليد ! او يحتاج هذا الى تفكير او تردد ? ان عشرات الخطاب يردهم كل يوم السيد ابو الوفا . ولا ادري ما الذي رأى فيك انت حتى اختارك لتحل محله يوماً ما ، فعما قريب سيعتزل العمل وسيؤول اليك كل ماتراه عيناك في هذا المحل ، هذا عدا عن الارصدة الضخمة الموجودة في البنوك ، وعن العمارات الفخمة والدار الانيقة ، لقد وقعت على كنز ، اياك ان تفوت الفرصة فربما لاتعود . ارجو الا تنساني لقد مدحتك كثيراً ، تعال معي فهاهو ذا السيد ابو الوفا ينتظرنا . ووجدتني اسير خلف الرجل . ان شيئاً كثيفاً اخذ يغلف دماغي .

واستقبلني السيد ابو الوفا ببشاشة وحفاوة ، وراح يشرح لي كيف احبني منذ رآني اول مرة ، وكيف توسم في الخير والصلاح ، ولم تكذب الايام حدسه فازداد بي اعجاباً . حتى تمنى لو يزوجنى من ابنته ويتخذني ابناً له .

كنت اقف امامه صامتاً منكس الراس . ان شيئاً كثيفاً يغلف دماغي . فأخذ زميلي يلكزني من الخلف ان: تكلم شيئاً . واحسبني تمتمت اخيراً بكلمات تناسب الموقف .

ثم اقترح السيد ابو الوفا ان نتناول العشاء في بيته .

فسرت بين الرجلين مأخوذاً مرتبكاً لا ادري ماذا افعل . وركبنا السيارة الفخمة . ولما مرقت من امام المنعطف رايتها واقفة في الظلام تنتظرني وتمط رقبتها لتتبين المارة عساي اكون بينهم ، فكاد قلبي يقفز اليها . ولكنني لبدت بين الرجلين وتتضاءلت وظللت صامتاً طول الطريق وجبيني ينضح عرقاً وانا اشعر بحقارتي ورغم كل ذلك ظللت سائراً الى مصيري الجديد ، لأن الشيء الذي غلف دماغي شله عن كل مقاومة

وتركتها في المنعطف المظلم تنتظرني . نعم ياصديقي تركتها في الظلام تنتظر وتنتظر .

وفي تلك الليلة تناولت عشائي على مائدة عامرة وتحت ثريا شعاعها يخطف الابصار ، وكانت تجلس امامي امراة ستصبح عما قريب زوجتي ، لم يخطر لي ابداً ان ارى ماشكلها، ولكنني ابتسمت لها رياءاً وتكلفاً ومنذ تلك اللحظة ماعرفت الابتسام الا رياءاً وتكلفاً .

ثم انقطعت عن العمل بضعة ايام ريثما تمت مراسم الزواج ثم عدت اليه لاتبوا مكاني الى جانب السيد ابي الوفا السعدي . ولكنني كنت اتحاشى النظر الى السقيفة واشعر في قرارة نفسي بالخزي والعارمن فعلتي النكراء . واتساءل فيما بيني وبين نفسي : كيف ياترى سيكون موقفها مني اذا تلاقينا ? اتشتمني ? وتبصق على وجهي ? فتكون فضيحة كبرى . ام تشيح بوجهها عني وقد امتلأت عيناها الجميلتان بالدموع . عما ستعبر قسماتها الحلوة ? اعن حقد وكره ? ام عن اشمئزاز واحتقار ? وبحركة لاشعورية اختلست نظرة من السقيفه فرايتها مظلمة خاوية . فارتد عنها بصري وهو حسير . ثم ناديت احد المستخدمين وسألته عنها فأجابني اللعين وهو يخفي ابتسامة خبيثة : لقد انقطعت عن العمل منذ ايام ولن تعود اليه ابداً . فشعرت بشيء من الارتياح وبكثير من الالم في آن واحد . ثم قلت له وانا اتظاهر بلا مبالاة ، لابأس بذلك . سنستورد بعدالآن اكياساً جاهزة . وطلبت منه ان يقفل السقيفة ويأتيني بمفتاحها وان يضع فوق الكوة التي كانت تطل علي منها لوحة ترسم عليها اعلان لنوع من البضاعة . وحسبتني قد دفنت الماضي وتخلصت منه لأبدا حياة انعم وامتع .

ولا اخفي عليك ياصديقي انه توفرت لي بعد ذلك كل اسباب النعيم ، واندفعت وراء كل اللذات ولكني لم اشعر بنشوة كتلك التي كنت اشعر بها وانا الى قربها في الحديقة الصغيرة ذات المنحدرات الخضر ، يدها الناعمة في يدي، وجسمها اللدن يميـــل على جسمي ، وعيناها ينبوعان يفيضان عذوبة وحناناً . وبعد هذا كله اتعجب اذا امحت الابتسامة من على فمي وقد اصبحت انساناً آله تعطل فيه الشعور ، وماتت النشوة ?

ولم يجب الاديب على سؤال صديقه لان عقله كان قد شرد وهو يستعرض في ذاكرته اسماء الصحف والمجلات الادبية وايها يدفع اكثر فيما اذا كتبت لها هذه القصة . وبأي اسلوب اخاذ وجمل ألاقة براقة يستطيع ان يصور المادة وهي تطغى على المثل العليا ، واي عنوان يصلح لهذه القصة ويجذب القراء :

الانسان الآلة : المادة تطغي ? عصرنا ? الضريبة الفادحة ? السعادة الموهومة ? نشوة تموت ? ابتسامة تنمحي ? غدر وخيانة ? ولات ساعة مندم ? ان هذا يحتاج الى تفكير طويل

دمشق **الفة عمر باشا الادلبي**



الطابع الشعري للكلمة العربية

بقلم

زكي الأرسوزي

ثلاث كلمات مشتقه من فعل « شعر » : شعور، شعر ، شعر يوحيه الحدس العربي في الشعر والحدس يزداد وضوحاً اذا لوحظت العلاقة بين « شعر » وبين أرومتها « شع » فكأني بالذهن العربي يقول : ان الشعور ينبعث من الوجدان لدى التجاوب الرحماني بين الاخوان كما ينبت الشعر من الجلد، وليس الشعر الا عبارة الشعور . وقدر الشعر يتبع امرين : عمق المعنى (الشعور) وبلاغة العبارة . ويكون التزام الشاعر بشعره بنسبة مايلخص حياته اي بنسبة مايكون عميقاً واما الشعر المقتبس من الآخرين ، فمثله كمثل الشعر المستعار ، لا يكلف التخلي عنه كثيراً من العناء .

مم يتألف الشعر ؟ من معنى، ومن ايقاع صوتي تنتقل على موجه تجربة الشاعر الغنية الى القراء او الى المستمعين ، ومن خيال مرئي يضفى رواءه على العبارة الصوتية ، كما يبدو في البيتين التالين : اولهما لامرىء القيس والاخر لطرفة .

تصد وتبدى عن اسيل وتتقى
بناظرة من وحسن وجرة مطفل

سقته اياة الشمس الا لثاته
اسف ولم تكدم عليه باثمد

وكذلك الكلمة العربية ، تتألف من صوت بياني ومن خيال مرئي ومن معنى قوام تآلفها . واما الخيال المرئي فتوحيه اخوات الكلمة ذات الطابع الحسي : فكلمة « ارملة » مثلاً ، تحمل طابع الرمل الذي كانت تطلى به المرأة وجهها عندما كانت تشيع جثمان زوجها الى القبر ، وكلمة « ذنب » تحمل طابع الذنب من حيث ملاحقة صاحبه والحط من قدره، وكلمة « ثوب » توحي بان العمل يلبس صاحبه كما يلبس الثوب الجسد ، وكلمة « عدالة » توحي بالنظام ، بالاتزان « عدلي الفرس » . وكلمة « ذكاء » تحمل طابع ذكاء ـ الشمس من حيث الاشراق.

وقد يبلغ الايحاء مداه في الكلمات المنحوته : فكلمة « سلحفة » مثلاً منحوتة من « سل » و « لحف » فتوحى بأن السلحفة تسل وهي ملتحفة بقوقعتها ، وكلمة «ضفدعة» منحوتة من « ضفة » و « دعا » فتوحى بالضفادع على ضفاف النهر وهن يدعون بعضهن بعضاً ، وكلمة «عبقري» منحوتة من «عبق» و « قر » فتوحى بالزهرة التي تنثر العطر بصورة مستمرة ، وكلمة « جمهورية » منحوتة من « جم » و « جهر » فتوحى بجمع يعلن عن رأيه جهراً .. الخ

واما البيان الصوتي فيرجع الى العلاقة الطبيعية بين المعنى واللفظة في الكلمة العربية . نشأ اللسان العربي من عبارة الهيجان الصوتية .. والكلمات : أخ ، اخوان ، اخوة .. انما هي تحولات لصوت التوجع : آخ . وليست الكلمات : أن انيناً ، وعن عنيناً ، وحن حنيناً .. الخ الا تحولات لعبارة الهيجان « رن »

هناك مجموعة اخرى من المصادر مدت بها الحياة الذهن في صوغ الكلمات : وهي الاصوات التي تحدث في الفم ، ومعناها هو ما يوحى به نمط حدوثها : بت : صوت يحصل من تقاطع اللسان مع النطع فيوحى بمعنى القطع ، ومنها بتر والباتر ، وبتل والبتول « المنقطع عن الزواج » . وكذلك الكلمات : قد وقدر وقدس ، وقص وقضم .. الخ

ولما استعان الذهن العربي بالاصوات الطبيعية كصوت خر الماء خريراً ، مثلا ، اتخذ العلاقة بين الماء وبين مايحدث من صوت قاعدة في الاشتقاق . اتخذ تأثير الماء في مجراه خرباً او خروجاً ، او خرقاً قاعدة في ايجاد الافعال :

خرب ، خرج ، خرق .. وذلك بالحاقه حرف « ب » او حرف « ج » او حرف « ق » الى صوت آخر .

هكذا تبقى الكلمات العربية امتداداً للاصوات الطبيعية فتوحى بمعناها .

وبهذه المناسبة نتناول مسألة الاعراب . المسألة التي طال اللغط فيها من قبل المتطفلين على الثقافة العامة . ان الاعتراض على الاعراب هو اعتراض على مشيئة الحياة في جعلها الظواهر من

الشعور في الهيجان بمثابة الجسد من الروح ، تستجلي الظواهر الشعور وتجسده بحيث يتيسر لها نقلها حياً الى الاخرين . وتستجلي العبارة الصوتية كوامن الحياة وتجسدها فيتم نقلها حية الى المستمعين. انه على قوة العبارة البيانية يقوم امر التأثير في الجماعة وحملهم على رفع الحيف وعلى التعاون على تحقيق الاهداف المشتركة .

والحركات في الاعراب : الضمة ، الفتحة ، الكسرة انما شأنها تمهيد الذهن المستمع للتجاوب الرحماني مع مضمون العبارة. فالفتحة توحي بالركون تبعاً لركون اللسان عند حدوثها في الفم . فهي اعراب المفعول تعبيراً عن ركونه لاحتماله فعل الفاعل وهي اعراب الماضي تعبيراً عن انقطاعه عن الحياة ، عن دخوله في عالم الامكان . والضمة توحى بالفعالية تبعاً لتدافع الصوت عند حدوثها في الضم . فهي اعراب الفاعل الفعال ، وهي اعراب المضارع ، حاضر ينزع الى المستقبل ، والكسرة توحى بالنسبة تبعاً لحدوثها من كسر الشفتين ورجعتهما لصاحبهما

واما المعنى فهو حدس ينجم من الوجدان نجوم الالهام كمعنى لتجربة الشاعر الفنية . وهو يدعو صاحبه الى الافصاح عنه بالعبارة الصوتية كما يدعو الالهام الفنان للافصاح عنه بالقطعة الفنية . والافصاح عن الحدس في اللغة وان بدا لاول وهلة خاضعاً لقواعد التداعي اي لدعوة صورة لصورة اخرى نظراً لما بينهما من علاقة اقتران او تضاد او مشابهة فانه ينكشف للمتأمل انكشاف الالهام من خلال الانغام في الانشودة . وهاك مجموعتين من الكلمات تؤكد صدق وجهة النظر المتقدمة .

نقول برد القر ، وقرارة النفس ، وقر وقرأ .. فكيف اجتمعت كلمات مختلفة في المعنى الى هذا الحد تحت عنوان واحد؟ هناك دويبة تحدث صوت « قر » يطلق عليها اسم قر قرير . ومن هنا صوغ كلمة قر وقرأ . هذه الدويبة تعيش في الانهار اثناء الشتاء . ومن هنا برد القر . وتعيش في قاع الانهار ومن هنا صوغ القرارة .

والمجموعة الاخرى من الكلمات هي : أج اجيجاً : صوت. واجيج النار لهبها وماء اجاج : ماء مالح . فكيف اجتمعت هذه الكلمات تحت عنوان مشترك رغم الاختلاف بينها في المعنى! أج هو صوت ذكر الحمام عندما يحوم حول الانثى والحمام اذ يحوم حول انثاه ينفش ريشه ويحمى . وكلمة حمام من الحماوة ومن هنا العلاقة بالنار . ولما ينفش الحمام ريشه يصبح كالبحر المهاج ومن هنا الاقتران بين الملوحة والموج فالماء .

وكلمتا « در » وضدها « خر » يرجعان بالاشتقاق الى مصدر مشترك هو تر صوت سقوط الماء متقطعاً . وكلمتا عد (عدد) وعدم ضدان يرجعان الى نفس الارومة. هذا وكثير من الكلمات تعني الشيء وضده معاً .

والكلمات التي تتضمنها اسرة « ذكاء » تكشف بمدلولاتها الحسية والعقلية عن تجليات لحدس العربي في الامر ، كما تكشف كلمات القصيده عن تجربة فنية واحدة . واليك مثالاً نقتبسه من رسالتنا العبقرية العربية في لسانها :

« ان كلمة « ذكاء » مشتقة من « ذكاء » وهي صورة صوتية ـ مدادية تنطوي مع اخواتها : « همك » ، « ضمك » « دك » .. على اتجاه يتضمن معنى الاحتكاك « الدلك » بحسب بيان الحرف « ك » والكلمات المعبرة عن بعض تجليات الحدس الحسية هي « ذكت » النار : اشتد لهيبها « ذكى » النار : أوقدها ، « الذكوة » ، مايلقى على النار فتذكى به ، «الذكاء» الجمرة المشتعلة ، « ذكاء » اسم علم للشمس(وتفيد هذه الصور الشدة والاشتعال) « المذكى » من السحاب : غزير المطر « ذكى » الرجل ، تقدم في العمر وبدن « المذكى » من الخيل : ماتم سنه وكملت قوته . (وهذه الصور تفيد الشيخوخة باستكمال شروط النمو) ، « الذكاء » : سرعة الفهم وحدته .

يستخلص من هذه الصور الحسية والمفهومات الذهنية المعبرة عن اتجاهات هذا المصدر ، ان الحدس العربي هو ان الحقيقة تسطع ، بتباين الافكار ، كما يحصل النور باحتكاك الاجسام ، فكأن الذهن العربي قد ادرك حدساً ، الشبه بين تحولات الوجدان من الابهام قبيل اليقظة الى الوضوح فالتأجج عند استكمال شروط هذه اليقظة ، وبين الشمس الساطع نورها والحاصلة من تكاثف السديم وتباره : فعبر عن «الذكاء»(النور المنبثق عن استجمام النفس بكلمة « ذكاء » صورته المحسوسة ، فلخص بذلك عقيدة الاقدمين المشيرة الى ان الشمس رمز للاله كما لخص ايضاً الفلسفة اليونانية ـ الحديثة التي تعتبر الذكاء معنى الوجود . »

وبعد ذلك امن العجب ان صباة العرب الى الشعر كامنية وان حاول كل منهم ان يكون شاعراً ينشد مفاتن الحياة ؟

استفتاء ...

وجهت مجلة الثقافة الى لفيف من الادباء السؤال التالي : ماهي اسباب ركود النشاط الأدبي في الاقليم السوري ، وماهي وسائل ازالته ?

الاستفتاء

فأجاب الدكتور ابراهيم الكيلاني :

لااعتقد ان في سورية ركوداً ادبياً بل ان هناك ازمة « قراءة » او ازمة « كتاب » فان الحوافز الفكرية والعاطفية والفعاليات العقلية لم تكن احسن واغزر منها الآن ، على ان هناك عوامل دعت الى التوهم بوجود هذا الركود وهي ان النتاج السوري مبعثر ينعكس على صحف ومجلات الاقطار العربية المجاورة ففي اليوم الذي تتوفر وسائل النشر والطباعة يعود الادب السوري الى احتلال مكانه اللائق ويمكن رد اسباب ازمة « الكتاب » الى اسباب اهمها :

١) اتجاه الثقافة في نظم حياتنا سطحياً لاعمودياً .

٢) تبدد الفكر السوري من جراء غلبة وسائل الحضارة الحديثة من سينما وصحف يومية ومجلات رخيصة مما يؤدي الى انعدام « قارئي الكتاب »

٣) انعدام الناشرين الذين يوفقون بين الحس التجاري والثقافة العملية .

واجاب الدكتور جودت الركابي :

ان اهم الاسباب لركود النشاط الادبي في الاقليم السوري يعود الى قلة تعهد الانتاج الادبي بالرعاية . فلا يوجد في الاقليم السوري دار واحدة للنشر يعتمد عليها ، ولذا يلاقي الاديب عنتاً في نشر آثاره . فهو ان قام بنشرها على نفقته لم يدر كيف يجد السبيل الى ايصالها للقراء . وعليه ان يحمل انتاجه متنقلاً من مكتبة الى اخرى ليوزعه وكأنه يوزع الصدقات ، على ان المتصدق يجد من يشكره ، أما الكاتب عندنا فلا يجد حتى الشاكر !.. ان عليه ان يدع عصارات فكرة تلتهمها جيوب البائعين !

واني أؤكد أن الناحية المادية هي عنصر أساسي لدفع الكتاب الى الكتابة أوعلى الاقل لحثهم على طبع ماهو متكدس في خزائن مكاتبهم ...

نحن ولله الحمد لسنا في فقر فكري فلدينا طائفة حسنة من الكتاب والشعراء ، ولكن انتاجهم كما قلت يجد العناء كل العناء في الظهور الى السوق ، وهو ان ظهر فعلى حساب الكثير من الجهد المادي والعضلي قبل الجهد الفكري لان السليقة فياضة مبدعة .

ونحن نرى أن هناك في الاقليم المصري أدباً غزيراً ولكن قد كان يصيبه مايصيب أدبنا من الركود لوكان كتب له أن يكون صادراً في اقليمنا . فهناك في الجنوب لاتجد كتاباً تتفتق عنه قريحة كاتب حتى تتهافت عليه دور النشر الكثيرة وتزينه وتزخرفه وتضع عليه كثيراً من الطلاء ثم تدفعه الى الناس عن رضى أو غير رضى بعد ان تترع جيب الكاتب بنصيبه المادي قبل ان يدري مصير مؤلفه ... هذه هي الحال هناك في مصر قبل أن يتحد الشقيقان فهل تكون من خيرات الوحدة وخيرات الجمهورية العربية المتحدة أن يلاقي ادباء الشمال مايلاقيه أدباء الجنوب من عطف ورعاية وتشجيع ?... اننا لمنتظرون !

وقال الاستاذ سعد صائب :

اخال ان اسباب ركود النشاط الادبي بخاصة والفكري بعامة ، تعود الى ظاهرة بارزة تكاد تكون فريدة في نوعها في اقليم يتميز بين اقاليمنا العربية بالوعي ، والوجدان القومي وهي ظاهرة فقدان دور النشر عندنا .. ومن المؤلم المؤسف حقاً خلو اقليمنا من دور نشر تعني باخراج انتاجنا واظهاره للقارئين الظماء للمطالعة .. ولئن شاء بعض اصحاب المكتبات والمطابع ان يخلق من نفسه ناشراً ، فقد جاء صنيعه نوعاً من التقليد المشوب بجهله تقييم ماينشر ، مما ادى الى خيبة مريرة وخسران مبين ، ومرد ذلك عندنا الى انه لم يعد نفسه لهذا العمل الخير الاعداد الذي يؤهله لاداء هذه الرسالة التي لاتقل في رأينا خطورة عن اية رسالة نقوم بتأديتها في مجالات الفكر والابداع .. وليس من شك في ان من اولى عوامل نجاح الناشر ثقافته وذوقه فان افتقدهما فبوسعه التعويض عنها مستعينا بجماعة من اهل الفكر والثقافة ترشده الى اختيار الاصلح وانتخاب الانسب من الانتاج لنشره ، وبذلك يضمن لنفسه الربح ويوفر لنا الغذاء الفكري الدسم الذي نحتاج اليه ..

ولانكران ان « دار اليقظة العربية بدمشق » قد شاركت جهدها في النشر ، وكان لها فضل اذكاء النشاط الفكري عندنا وان مجرد القاء نظرة خاطفة على الكتب التي قامت بترجمتها

ـ وهي من عيون الادب الغربي ـ يكشف عن مبلغ مساهمتها في هذا النشاط ، ولكنها لم تستطيع الاستمرار فيه فتوقفت او كادت بسبب العبء الضخم الذي ناءت به وبسبب عوامل ثانية طارئة

اوجدوا دوراً للنشر تستعين بصفوة مختارة من ادبائنا ومفكرينا .. واشيعوا الثقة بين الناشرين وذوي الانتاج وانا كفيل بازالة مانشكو من ركود فكري او ادبي ...

مادام لكم النور آمنوا بالنور ، لتصيروا من ابناء النور هكذا قال السيد المسيح .. وماحوجنا الى الايمان المبدع !..

وقال الاستاذ مطاع صفدي :

ان المتفائل يستطيع ان يعثر على دلائل غير مباشرة تنبيء عن حياة ادبية حقيقية لاتنكر في اقليمنا الشمالي . منها مثلاً ان اكثر المجلات التي تصدر في لبنان العربي يحرر قسماً كبيراً منها أُدباء من الاقليم السوري . فاذا تجاوزنا نحن بعض الشروط التي حولت طاقة الكتابة والقراءة لدى جمهورنا الى حقل آخر كالعمل السياسي والحزبي والاهتمام الكبير الذي استحوذ على مثقفينا بالمشاكل الاجتماعية والقومية ، اذا تجاورنا هذه الشروط وقفنا امام سبب رئيسي للركود الادبي ، هو ولاريب النقص الفادح الذي نلاحظه في الفعالية الاجتماعية للحياة الادبية .

ان أدبنا يشكو من عدم التخصص فأكثر الادباء ينضب معينهم في سن مبكرة . وبالتالي فان عدد من يسمى بالاديب يظل دائماً في نقص مستمر مما يصعب تأليف كيان اجتماعي لهم وبالتالي يعجز القاريء غالباً عن التفريق بين اديب ومثقف حتى ليكاد ان يدعو كل صاحب شهادة من مدرس او موظف بأديب او كاتب . هذا الى جانب عدد كبير من الصحافيين الذين لايملكون اكثرهم امكانيات حقيقية في ميدانهم الصحفي ، فكيف بهم في الميدان الادبي .

ولاننسى كذلك استثمار الادب لغير غاياته الطبيعية ، وجعله وسيلة للدعاوات السياسية المنحرفة ، ومحاولة طمس مقاييسه الفنية بمقاييس حزبية ضيقة واحاطة مزيفيه بهالة من الدعاوة والتهريج المبتذل ، مما يجعل الاديب الحقيقي يصاب بالقرف وبالتالي يهمل موهبته اوينعزل ويكتفي بأية مكانة اجتماعية اخرى تبعده عن جو الدجل والدجالين .

وتأتي بعض الاجهزة الحكومية ـ قبل الوحدة طبعاً ـ فتعرقل تفتح الحياة الادبية بقوانين وانظمة يشرف عليها رجال كل جدرانهم في عين أسيادهم ، انهم استطاعوا حقاً ان :

١ ـ يبقوا الصحافة طيلة سنين في مستوى عامي او استعماري قابل لجميع انواع الدس والتجارة الرخيصة بكل القيم القومية فكيف بالقيم الادبية .

٢ ـ ان يبقوا سوريا بدون اية مجلة حقيقية رغم ان عشرات الطلبات مكدسة في زوايا دائرة الدعاية والانباء ولايعلم احد لماذا هي تكدس ولماذا تخمد انفاس مشاريعها قبل ان ترى النور !

٣ ـ ان يحيطوا الاديب الاصيل بجو من السلبية والاهمال والتجاهل المقصود ، وان يدفعوا بزلمهم واجرائهم الى الصدارة من كل شيء . هذا الى انه لم نسمع مثلاً مرة ان وزارة المعارف قد انشأت او حاولت ان تنشيء اية مؤسسة لرعاية الادب وشئونه اذا لم تكن مثلاً قد حظرت على المدرسين اي نوع من العمل الدوري لخلق حركة اجتماعية او مجلة تحي الادب وتسنده كما أننا لانعرف في تاريخها الطويل انها وضعت مثلاً مسابقة او جائزة تشجع العمل الادبي ، ولم تسع قط الى طبع كتب الادباء كما تفعل جميع وزارات العالم .

واليوم ونحن على عتبة مستقبل خصب مبشر لجميع أنباء الامة العاملين يقف الادباء يتساءلون ترى مانوع المجالات المشجعة التي ستفتح أمام امكانياتهم ..

انهم لاينتظرون ، لانهم لايؤمنون بالمعجزات تأتي من قمقم سحري ، انهم يعملون ، كما كانوا يعملون دائماً وفي احلك الظروف واقساها ، وهم يدركون اليوم واجبهم اكثر من اي يوم مضى ولكنهم يأملون ان يوجد لعملهم التنظيم الاجتماعي المطلوب ، الذي بدونه تتبعثر الجهود ويظل ادبهم ، هذا الطفل اليتيم ، يحبو على هواه وفي اي مسلك .

لقد كان ثمة حياة ادبية في هذا الاقليم خلال الاجواء المضطربة الفاسدة السابقة فكيف بهذه الحياة ان تترعرع ويشتد عودها وتؤسس وظيفتها القومية المخصصة اذا ماانتبه المسؤولون لها ، كما ينتبهون الى غيرها من الفعاليات القومية الضائعة .

ورد الاستاذ شوقي البغدادي بقوله:

عندما يكثر الحديث عن الركود الادبي فهذه بشائر انتهائه او علائم عدم وجوده اصلا . وفي سوريا شعر وقصة وكتابات متنوعة غير انها موزعة على صحف العالم العربي . كل ما كان ينقصنا اذن هو المجلة الادبية التي تعكس هذا النشاط او تجمعه وتظهره بالشكل المنشود والطابع المحلي المميز ، اما الآن وقد صدرت مجلة « الثقافة » فانني آمل ان يسد هذا النقص وان يبطل الحديث في المستقبل عن الركود الادبي ، والازمات الادبية والحق انني متفائل بالمجلة هذه لان الاستاذ مدحت عكاش الذي اعرفه كتلة من الحركة ، والنشاط ضمان للمجلة انها سوف تعيش وسوف تكتمل عدداً بعد عدد ..

صور اجتماعية

بقلم

حافظ الجمالي

مـازلت منذ أيام طويـلة أستقل الحافلة لأصل بها الى بيتي ومازلت أوطن نفسي على أن أقف لها في مواقفها المقررة فوربك مازلت على هذه الحال منذ سنين . ولا أستطيع أن اضمن وقوف الحافلة حيث قرروا لها ان تقف . وانماهي تتقدم منه قليلا ، او تتأخر عنه قليلا ، على حسب مزاج سائقها وقائد حركتها والانكى من ذلك : ـ هذا المزاج قلق دائم القلق فلا هو بالضرورة يهوى التقدم ، ولاهو بالضرورة يهوى التأخر بل هو في كل لحظة شيء جديد ، لاأستطيع التنبؤ به ، ولا احسن معرفة قانونه . وهكذا اجدني مع الحافلة كالصياد مع الطائر الذي يريد صيده. ويملي علي ان الاحق الحافلة بالاحتيال والتربص ، والمباغتة ، اكثر بكثير مما افوت بها غنيمة باردة منتظرة .

ولحافلاتنا شأن آخر لايقل روعة وجمالاً عن شأنها الاول فأنا اشهد احياناً عدة حافلات يتبع بعضها بعضاً ، كما يتبع الظل صاحبه . واقف احيانا اخرى زمنا طويلا بانتظار حافلة واحدة فلا استطيع امتاع عيني برؤيتها ، ولا يدي بلمسها .

والاحظ احياناً ان جملة من الحافلات تجتاز الطريق نازلة ولا ارى في الوقت نفسه حافلة واحدة صاعدة ، وعبثاً ابحث عن السبب في كل هذه الامور ، فلا اجد لها سبباً واضحاً . انها في الاعم الاغلب مزاج المفاجئات ، وطبع التقلب ، وحرية الاختيار المطلقة . او قل ان المسألة هنا مسألة الفردية الطاغية التي لاتستطيع الخضوع لقانون .

غير ان هذه الفردية لاتتجلى في سلوك الحافلات او سائقيها فحسب ، بل هي ـ فيما يبدو لي سمة بارزة في بعض مظاهر حياتنا الرائعة . خذ مثلاً على ذلك ماتقرؤه من المقالات ، واحيانا ماتطالعه من الكتب . فوربك ماترى كاتبا يكتب في موضوع الا ويحسب أنه اول من فكر في هذا الموضوع . ولئن عاد غيره الى الموضوع نفسه في اليوم التالي . فسيكون هذا الآخر بدوره اول المفكرين في هذا الموضوع . وقلما تجد كاتبا يعالج موضوعه بعد ان يجمع له المسلمات المكتسبة فيه من تفكير الآخرين او قل ، كأن الفرد الذي يكتب عندنا ، انما يكتب بصورة مستقلة عن الحاضر ، و لماضي ، والمستقبل ، او كأنما هو يكتب لنفسه وحدها ، ومن نفسه وحدها ايضاً . انه هو وحده نقطة الابتـداء . وهو وحده ايضاً نقطة الانتهاء . ويبدو ان هذا الامر كان معروفاً لدى القدماء ، اذان الجاحظ عندما يقابل بين بلاغة الفرس ، وبلاغة العرب ، لايجد بدأمن القول :

الا ان كل كلام للفرس ، وكل معنى للعجم ، فانما هو عن طول فكر ، وعن اجتهاد وروية ، وعن مشاورة ومعاونة وعن دراسة الكتب ، وحكاية الثاني علم الاول ، وزيادة الثالث في علم الثاني . حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم وكل شيء للعرب ، فانما هو بديهة وارتجال ، وكأنه الهام .

وانتقل معي الآن ، ايها القارىء ، الى مستوى آخر : انتقل معي الى وحدات الموازين والمكاييل . انك لن تغفل عن ان لنا في ثلاثة بلدان من اقليمنا السوري ، هي دمشق وحمص وحلب ، ثلاث وحدات من الارطال . يختلف بعضها عن بعض . ولكن الاختلاف ليس في الاوزان وحدها ، بل هو في كل جمل المقاييس تقريباً .

واريد الآن رجاءك القاريء ان تنتقل معي من جديد الى الحافلة ، مرة اخرى . لقد كنت راكباً فيها مرة وامامي وحولي على المقاعد القريبة مني خمسة ركاب آخرين . وفجأة بدا لي ان الناظر الينا من خلال ملابسنا سيحسب حتما اننا من ستة شعوب لامن شعب واحد . فأنا حاسر الرأس . والثاني صاحب كوفية وعقال . والثالث ذو قلبق ، والرابع معتم بعمامة بيضاء . والخامس . صاحب طاقية ، والسادس ذو عمامة مطرزة ، او لعله كان ذا طربوش . ولم يكن الاختلاف بيننا في لباس الرأس وحده ، بل في لباس الجسم ايضاً ، ولقدبدالي في لحظة من اللحظات ان مااختلف قوم بصور لباسهم كما اختلفنا نحن ، راكبي الحافلة ، الستة ، المتجاورين .

وفجأة قفزت بي الخواطر الى رسالة لابن المقفع بعنوان رسالة الصحابة ، ويعني بهم صحابة الولاة والخلفاء والظاهر انها تقرير في نظام الحكم ووجوه اصلاحه ، رفع الى ابي جعفر المنصور . ويذكر ان المقفع موضع الشكوى من الحكم قبل ولاية ابي جعفر : فوال لايهتم بالاصلاح ، وان اهتم به فليس له راي يهديه ، اوله رأي ، ولكن ليس له عزم يمضي به مايبتغيه

واعوان ليسوا على الخير بأعوان .. وامة ان اخذت بالشدة حميت ، وان اخذت باللين طغت .

ويشير في تقريره الى حالة الجند ، ويوضح انه لابد ان تنظم افكارهم ، ولابد لذلك من ان يكون لهم دستور او قانون يحيط بكل شيء يجب ان يعرفوه .. فأما ترك الامر من غير قانون ، لايعرفون به مايجب وما يحرم فداع الى الفوضى . ومما يطلب للجند ان يحال بينهم وبين ادارة الشئون المالية ، وان تراعى الكفاية في تعيين القادة . ويثقفوا ثقافة علمية وخلقية . الا انه لاينسى مع ذلك ان يطلب تعيين وقت محدد للجند يقبضون فيه ارزاقهم ، فان ذلك ادعى لطمأنينتهم ، وامنع للشكوى والاستبطاء . ويبدو ان الامر هنا كان شبه فوضى ، على نحو ما كان يفعله العثمانيون مع الموظفين اوما يتم حتى الآن في بعض البلاد العربية الجنوبية .

غير ان من اهم ماجاء في هذا التقرير تعرضه لموضوع فوضى القضاء ، فقد ذكر ابن المقفع ان القضاء فوضى ، لايرجع فيه الى قانون معروف . وانما هو متروك لرأي القضاة واجتهادهم ونشأ من ذلك صدور الاحكام المتناقضة حتى في البلدة الواحدة فتستحل دماء وفروج واموال في ناحية من نواحي الكوفة وتحرم في ناحية اخرى ـ تبعاً لحكم القاضي ـ وكل ذلك نافذ على المسلمين ، والقضاة نوعان : نوع يزعم انه يلتزم السنة .وقد تغالى فيما سماه سنة . فكثيرا ما يسفك دماً من غير بينه ولا حجة ، ويزعم انه هو السنة ، فاذا قيل له ان مثل هذا الامر لم يرق فيه دم في عهد رسول الله (ص) او ائمة الهدى من بعده قال : فعل ذلك عبد الملك بن مروان او امير من بعض اولئك الامراء ! ونوع يزعم انه من اهل الرأي . فيبلغ به الاعتداد برأيه ان يقول في الامر الجسيم ، من امر المسلمين ، قولاً لايوافقه عليه احد ، ثم لايستوحش لانفراده بذلك . وامضائه الحكم عليه ، وهو مقر انه رأي منه لايحتج بكتاب ولا سنة ويخلص ابن المقفع من ذلك كله الى ان التشريع ليس من حق القاضي بل من حق الخليفة ، وليس للقاضي الا ان يطبق ما يوضع من تشريع ، على نحو مانفعل نحن الآن .

ومن الطريف حقا ان ابا جعفر المنصور يتأثر برأي ابن المقفع هذا ، ويحاول وضع حد للفوضى التشريعية ، ويخاطب الفقيه الكبير مالك بن انس قائلا : قد عزمت على ان آمر بكتبك هذه التي وضعتها فتنسخ ، ثم ابعث الى كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة ، وآمرهم ان يعملوا بما فيها، ولا يتعداه الى غيره ، فيجيبه مالك : ياأمير المؤمنين لاتفعل هذا فان الناس قد سبقت اليهم اقاويل وسمعوا أحاديث : ورووا روايات ، واخذ كل قوم بماسبق اليهم ، ودانوا به ، فدع الناس ، وما اختار اهل كل بلد منهم لانفسهم .

والاطرف من ذلك ان تعاود هرون الرشيد الفكرة ويعرضها على مالك بن أنس ، فيجيبه مرة اخرى : لاتفعل فان أصحاب رسول الله اختلفوا في الفروع ، وتفرقوا في البلدان ، وكل مصيب » . والطريف في هذا كله ان تكون الحاجة الى التنظيم ملحة جداً ، وان تنشأ عن فقدانها كل المحاذير ، وان لاترى النفوس الذكية جداً ، اي حرج في الابقاء على الفوضى ، وان تقاوم كل نزوع الى التنظيم .

ولنترك هذه الملاحظة التاريخية العارضة ، ولنعد الى الحاضر من جديد ، لنعد الى هذه المقابر الايوبية المتناثرة في بعض احياء دمشق ولنلاحظ ان الناس حولها لم يحترموا الموت ولا الموتى فهدموا هذه المقابر ، اوهدموا منها بالمقدار الذي يكفي لبناء بيت متواضع يسد حاجاتهم ، وعندما لم يفعلوا ذلك تجد انهم احالوا المقابر الى مستودعات للبضائع المختلفة من اخشاب او انقاض .. وهكذا تهدم اروع الآثار التي خلفها الماضي لسد أحقر حاجات الحاضر .

وتسوقني هذه الملاحظة نفسها الى ملاحظة اخرى يبدو لي فيها ان مابقي لنا من الآثار في بلادنا شيء قليل جداً ،فكان كل عصر مولع بتهديم ماخلفه العصر الماضي ، حتى لكأن علينا ان لانحتفظ لحاضرنا بأي تراث قديم .

اننا نخطىء ولا شك عندما نظن ان اكثر صور حياتنا يشكو طغيان الفردية ، وحب التناثر ، وايثار الارتجال على التنظيم ، والمصلحة الآنية ، ذلك اننا نجد بالمقابل صوراً واعية لفرديتنا تحسن الخلق والابداع ، تنشيء الكثير من القليل وتقفز بالتطور خطوات كبيرة ، في أزمنة جد يسيرة . غير ان الملاحظات التي اشرنا اليها صحيحة . وهي بحاجة الى الشيء الكثير من التقويم . وعلى مجتمعنا العربي الجديد ، وهو المثقل بأضخم الواجبات القومية ، ان يبدأ قبل كل شيء ، بتهذيب هذه الفردية الطاغية في بعض الاحيان ولقد كانت فرديتنا الحالية نزوعة الى التناثر والتمزق في ظروف الانحطاط ، فانه مما لا شك فيه ان الوجه الثاني لهذه الفردية ، انما هو سرعة القفز الى اعلى المستويات ، وحسن التمرس بأضخم الواجبات . وسيجد قوادنا المخلصون ان بين ايديهم من شعبهم كتلة مرنة الى أبعد الحدود ، يستطيعون ان يصنعوا بها المعجزات .

توحيد المصطلحات العلمية

بقلم

الدكتور فاخر عاقل

جلست مرة اتحدث الى صديق من علماء الغرب زار بلادنا وقضى فيها شطراً من الوقت فقال انه لاحظ شدة اهتمام المثقفين العرب بالامور السياسية مما لا يترك لهم الوقت اللازم لتفرغهم للبحوث العلمية والدراسات الاختصاصية ، وكان جوابي ان ابتلاء بلادنا بالاستعمار هو المسؤول عن هذه الظاهرة ، ذلك بأن المثقف منا كان يعلم علم اليقين ان مكافحة الاستعمار والثورة ضد المستعمرين وتنبيه المواطنين لاخطار الاستعمار وألاعيبه مسألة حياة وموت ، واننا مالم ننتصر على الاستعمار فان كل امكانية للبناء تكاد تكون مستحيلة ، لاسيما وان حكامنا كانوا الى وقت قريب اما من اعوان الاستعمار واجرائه او ممن يحسبون له ألف حساب ولا يجرؤون على الانفاض ضده.

على ان الامور قد تغيرت الآن تغيراً كبيراً . وليس معنى هذا ان الاستعمار قد هادننا او ان حكامنا قد اصبحوا منزهين مقدامين في كل افكارنا ، ولكن معناه ان العرب اليوم وبعد ما حققوا من انتصارات سياسية وما يأملونه لانفسهم ووطنهم من مكان يحتلونه بين الامم ، اقول ان عليهم عامة وعلى مثقفيهم خاصة ان يدركوا حقيقتين هامتين :

اولاهما : ان الوحدة السياسية لامعنى لها ولا قيمة ان لم تكن مظهراً لوحدة كاملة شاملة تتناول الاجتماع والاقتصاد والعلم والثقافة وكافة وجوه الحياة .

وثانيهما : ان العصر عصر علم وعمل وان السياسة نفسها لم تعد تستطيع الاستغناء عن العلم . ولعل خير دليل على ذلك سباق المعسكرين في البحوث الذرية واطلاق الاقمار الصناعية والصواريخ مما يستند الى أرقى انواع البحوث العلمية .

ومن هنا كانت اهمية العمل العلمي الموحد في بلادنا العربية واذا كان المقام لايتسع للحديث عن توحيد العمل العلمي في مجالاته المختلفة المتعددة فلا اقل من ان نشير الى ناحية هامة جداً واساسية في العمل العلمي ونعني بها توحيد المصطلحات العلمية.

والحق ان المصطلحات العلمية التي تعتبر الاحجار الضرورية لكل بناء علمي والعملة التي يتعامل بها العلماء والتي يتوقف على وجودها وجود بحوث علمية مكتوبة باللغة العربية ليست مفقودة في لغتنا وان كانت مفتقدة في بعض الحقول . ان الكثير من المصطلحات موجود في تراثنا العلمي القديم ولكن جهلنا به يحول بيننا وبينه . ثم ان لغتنا من المرونة والسهولة بحيث يمكن نحت الكثير من الالفاظ اللازمة ، أضف الى ذلك كله ان العرب في ماضيهم لم يترددوا في تبني الكثير من الالفاظ التي شعروا بالحاجة اليها ولم يروا في ذلك حرجا لهم او انتقاصاً لقدر نهضتهم ولعل انكى مافي الامر ان الكثيرين من العرب المعاصرين قد اجهدوا انفسهم وبذلوا جهودهم في وضع كلمات ومصطلحات للمعاني العلمية ولكن عدم وجود مؤسسة توحد جهودهم وتنسق عملهم ادى الى بعثرة هذه الجهود وعدم الافادة منها على الوجه الاكمل مما ادى الى وجود اكثر من مصطلح للمعنى الواحد وعدم وجود اي مصطلح لمعان كثيرة والحق بعد ذلك ان فكرة التوحيد ليست جديدة وان الذين تنبهوا الى اهميتها كثر ولقد بذلت حتى الآن جهود كثيرة وعقدت مؤتمرات عديدة لهذا الفرض ولكنها مع الاسف لم تؤت اكلها حتى الآن فما السبب ؟

ان لذلك سببين رئيسين :

احدهما : ان محاولات التوحيد هذه كانت اما محاولات فردية عاجزة او محاولات جماعية في مؤتمرات عامة تلقى فيها الخطب عن ضرورة التوحيد ثم تنفض ليذهب كل الى بلده وينصرف الى عمله اليومي .

وثانيهما : هو النظرة الى ايجاد المصطلحات العلمية على انه من اعمال المختصين باللغة التابعين في المجامع اللغوية ، المكللين بغار عضويتها ، الحريصين على احتكار هذا المجد اعتقاداً منهم بان الندرة هي المقوم الوحيد لغلاء الثمن والعلو في سلم الفخار .

وفي الحالين كانت الحكومات تقف من الامر جميعه موقف المتفرج .

لقد كنا نحن العرب نعيش حتى الآن عالة على غيرنا في كل شيء ، وكنا ننسب ذلك الى الاستعمار وسيطرته على بلادنا وصرفه ايانا عن كل عمل مجد غير مكافحته . اما الآن وقد هزمنا الاستعمار سياسياً في كثير من اقطارنا ولا سيما في الجمهورية العربية المتحدة ، فقد اصبح من واجبنا ان نشرع بالبناء : البناء الاقتصادي والبناء السياسي والبناء الاجتماعي

والبناء العلمي . وفي البناء العلمي بالذات لابـد لنا اذا اردنا ان يكون ثمـــة علم عربي ، او قلت اذا شئث ان توجد مساهمة عربية في التقدم العلمي العالمي فلا بد لنا من جعل لغتنا العربية لغة علمية عصرية . ولقد برهنت لغتنا العربية على قدرتها في هذا الصدد فكانت لغة العلم في العالم مدة طويلة ، ولقد برهنت لغتنا العربية على قدرتها هذه في عصرنا الحاضر بدليل ان الجامعة السورية دأبت ـ منـذ نشأتها ـ على التعليم ، تعليم كل العلوم باللغة العربية . واذا كان صحيحاً اننـا مازلنا نفتقد الكثير من المصطلحات والالفاظ فانه صحيح ايضاً ان الامر ممكن كل الامكان ان كل مايحتاجـــه هو الجهـــود المخلصة المنظمة الموجهة .

ولقد تنبهت حكومة الجمهورية العربية المتحدة الى ضرورة العمل في الحقول السياسة والاجتماعية والاقتصادية بل والعلمية بدليل انها انشأت في الاقليم المصري مجالس ومنظمات علمية لهذا الفرض ، ويبقى ان تتنبه الى اهميـــة العمل على توحيد المصطلحات العلمية الموجودة والمتضاربة وايجاد المصطلحات اللازمة والمفتقدة حاضراً ومستقبلاً .

وعندنا انه بات من واجب المسؤولين في الجمهورية تشكيل اللجان العلمية لهذا الفرض وجعلها مؤسسات دائمة ، العاملون فيها اختصاصيون مارسوا العمل العلمي مدة كافية ، وهم يعملون مأجورين ومشكورين وقد يتفرغ بعضهم لهذا العمل او يقوم به اضافة لعمل آخر ، ويتناول عملهم كل الحقول العلمية .

ويتعاون مع كل الاختصاصيين في البلاد العربية كما يتعاون مع كل المؤسسات والمعاهد والجامعات ذات العلاقة .

ولاشك في ان رعاية الدولة لهذه اللجان والمنظمات سيكتب لعملها الدوام والنجاح وسيحفزها على نشر نتـــاج عملها في حوليات ودوريات ومعاجم ، كما انـه سينشط البحث العلمي ويشجع الترجمة والتقريب .

اما بعد فهذا اقتراح سريع نتقدم به لوزير التربية والتعليم في الجمهورية وكلنا امل في ان يلقى من تشجيعه واهتمامه مايكفل له النجاح وللجمهورية الفتية فضل تشجيع العلم والمتعلمين .

ذاتية الفن

في زيارة صحفية قديمة للفنان الفرنسي ادوغست رنوار ، قال الفنان وهو يتحدث عن رسومه «ان ما ارسمه هو أنا نفسي وليس شيئاً آخر » ولعل المراسل الصحفي الشاب التفت حوله فلم يجد من بين لوحات الرسام العظيم لوحة شخصية تمثل الرسام نفسه ، ولكن ابتسامة رونوار نفسه جعلته يدرك ان في كل لوحة من اللوحات التي تملأ المرسم ، طبيعية كانت ام اشخاصاً ام موضوعات صامته ، روح ومعنى رونوار نفسه ولاشيء غير هذا ، لانه لايستطيع ان يكون مزيفاً برسمه كما انـــه ليس بقادر على اصطناع انتاجه وطمس آثار يده التي تعبر عن انفعاله الحر الصادق .

وفي رسالة لفانسان فان كوخ الرسام الهولندي ، لاخيه تيو قال له : « ان الجميع هنا يهزؤون من رسومي تمامـــاً كما يهزؤون مني ، وهم يرون لوحاتي بائسة مثلي ، وانت وحدك تعرف انني انما اعبر عن الانسانية كلها » .

اما بابلوبيكاسو الفنان الاسباني الأشهر ، فقد كان يقول دوماً « لست الاتاريخي الفني » .

اردت من ذكر هذه الامثلة القصيرة أن اصل الى الحديث عن علاقة الفنان بفنه ، هل هي علاقة مجانية ؟ ام هي علاقة غائية ام علاقة موضوعية ؟..

ومن المحتم سواء اكان الفنان طليقاً ام ملتزماً فانه لا يسعى في الحالين وراء عبثية فارغة أولعب ضائع سخيف ، والا فانه يفقد مقدماته الاساسية كفنان ولايصبح الحديث عنه امراً له علاقة بالفن .

وعندما نفترض هذه العلاقة غائية بين الفنان وفنه ، فاننا نجعل منه صانعاً او مصلحاً ، ويكون عمله وظيفة اكثر من ان يكون ابداعاً . على انه اذا كانت وقفة الفنان قصيرة وعابرة ازاء علاقاته السابقة ، فان وقفته امام علاقته بالموضوع بقيت محرجة واستغرقت قروناً طويلة قضاها وهو لا يستطيع ان يطل برأسه الى مابعد الموضوع الذي بين يديه ، بل بقي مقيداً به وخاضعاً له لايستطيع مخالفته او معارضته والا فان لعنة النقاد وسخط الناس لتخرجه عن نطاق الفن السوي وتجعل منه انساناً شاذاً او رساماً مبتدئاً عابثاً ، تماماً كما جرى لجماعة التأثريين امثال مونه وديفا وسيسلي ورونوار وسيزان عندما رفضوا كرسامين وحرموا من عرض لوحاتهم في العرض الرسمي .

ولقد هزىء الصحفيون أشد الهزء من لوحة شروق الشمس التي قدمها مونيه تحت اسم « Impretion » انطباع ، وحتى قال احدهم : « انني أعجب للجرأة التي دفعت الرسام الغر الى اعتبار مارسمه لوحة من الممكن عرضها على الناس لتنمية ذوقهم الفني »



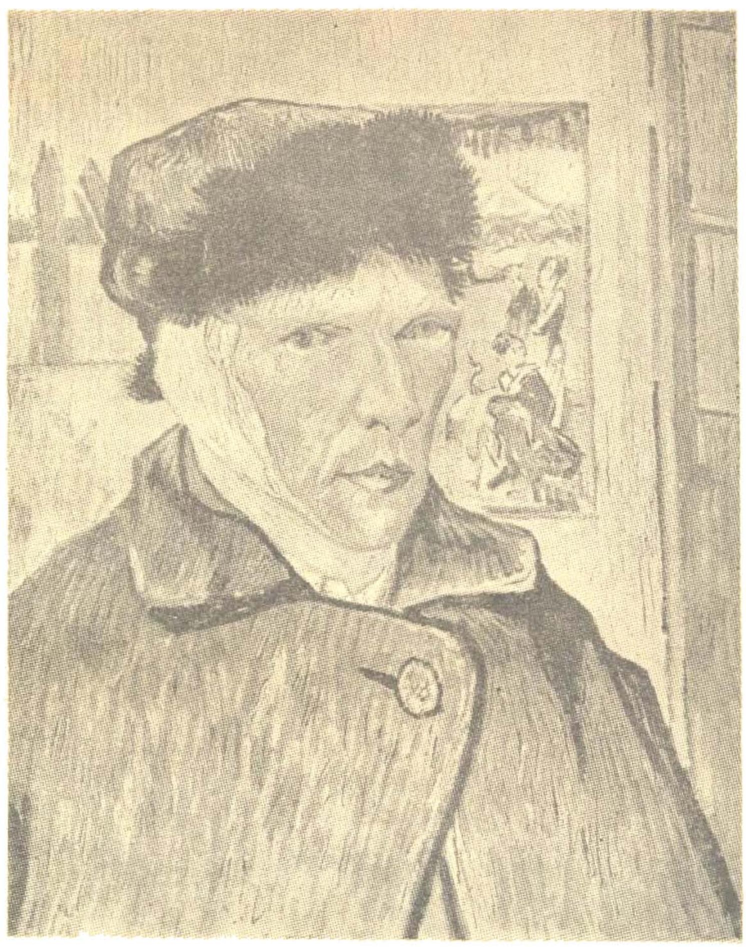
انها عبث ومهما كان اعترافنا بجمالها » .

على ان هؤلاء المرفوضين أصبحوا رواداً للفن الصحيح فيما بعد ، وأصبح النقاد الذين سخروا بالأمس وشتموا واحتقروا ، ينظرون اليهم على انهم اعلام ، وفاتحون ، وعباقرة . وحتى اصبح عصر كامل في حياة الفن يطلق عليه عصر سيزان ، ليس تكريماً وتمجيداً للفنان وحسب وانما تدليلا واعترافاً بما لهذا الفنان بالذات من أثر على قواعد الفن وأصوله ، وابراز لخصوصيته معبرة في الشكل والمعنى .

والواقع ان مايمكن ان ندعوه بالعلاقة الذاتية بين الفنان وموضوعه لايعني خصوصية الرسام وحدها ، أو الطابع الشخصي الذي يتميز به الفنان في رسمه ، والا فاننا لانستطيع ان نخرج عن ذاتية الفن لأي فنان في التاريخ ، فمن المحتم ان رسوم ليوناردو تختلف عن رسوم فيرونيز ، كذلك تختلف رسوم بوتشيللي عن دورر كل الاختلاف كما ان داطو يتميز بوضوح عن فلاسكس وهكذا .

الا ان هذه الاختلافات جميعها بقيت محصورة ضمن حدود البنية التشكيلية الواقعية ، وقواعد المنظور والتلوين المدرسي ، ولم تستطع الخروج عنها الا منذ عهد دولاكروا الفرنسي .

والواقع ان ثورة التمرد على الموضوع التي ابتدأها دولاكروا وانطلقت بشكل جماعي مع الناتريين ، كان القصد منها تشخيص التجربة الانسانية التي عاشها الفنان وتمثيلها سواء أكانت ذلك عن طريق التخطيط كما فعل فان كوخ ، او عن طريق التلوين كما فعل غوغان ، او عن طريق التبسيط كما فعل ماتيس ، او بواسطة التعكيب كما فعل بيكاسو وبراك . وكان التعبير عن صدق الطفرة الابداعية ، وعن انعكاس المعاناة الفنية هو هذا الفن الذي ينثر روح الفنان وفكره وخياله .



ان « بول كلي » عندما ينشد الميتافيزيك في لوحاته انما يريد ان يؤكد ذاته في كل مساحة لونية ارادها متممة في لوحاته التجريــدية . ولذلك فليس من حقنا ان نقول لبيكاسو او لسكاندنسكي او لروو « اذهبوا واغلقوا الابواب على لوحاتكم فهي لكم وحدكم » . ان هؤلاء ليبنوا يوماً فيوماً درجات راقية للحس الابداعي العميق . ولهذا فاننا نتساءل اليوم ، الى اي مدى وصل تأثير هؤلاء الفنانـين المبدعين ؟ الى اي مدى انتشرت قصة فان كوخ الانسانية التي حكاها تباعاً في كل لوحة من لوحاته في آرل وسانت ريمي وامستردام واودفرس وباريس .

والى اي مدى امتدت آثار عبقرية بيكاسو التي تجاوزت نفسها عشرات المرات . من الواقعية الى التأثيرية ثم التكعيبية والى الابتكارية والتعبيرية التراجيدية وغير ذلك .

والواقع ان بيكاسو اذا بلغ مبلغه من الشهرة ، فليس لانه عبر عن عواطف متقلبة كما قد يقال . بل انه قد عبر عن عصر بأكمله ، بانسانه وأزماته وقلقه لقد تمثل بيكاسو هـذا كله ، وعاشه ملء نفسه وابداعه واذا كان يسعى اليوم الى السلام والطمأنينة ، فليس لان في ذلك راحة البشر وسعادة الانسانية وحسب ، بل لانه كان دوماً منسجماً مع تطور تاريخ النفس الانسانية . والعالم اليوم يبحث عن معنى الانسان ، وليس معنى الانسان في الذعر والرعب والشك والقلق ، وانما هو في الانشاء والابداع والتسامي . وفي لوحتين شهيرتين لهذا الفنان العظيم قصة ذلك التاريخ النفسي للانسانية . واللوحـة الاولى Gernica هي الصورة الفاجعـة لجنون الانسان ، هي الرمز الصارم للخوف والضياع الذي كان يملأ النفوس في فترات الحروب المنصرمة ، لقد اعاد بيكاسو في هذه اللوحـة رسم التاريخ كما نكشف في روحه المرهفة المبدعة ، ولقد عبر عنه بجذالة الشاعر

الجاهلي ، فهز عواطف الناس الميتة ، وأثار مشاعرهم الاسيانة الصدئة ، وعلمهم على الاقل كيف ينظرون الى انفسهم، وكيف يسألون عن مصيرهم الذي يصنعونه بدون اي اهتمام .

وانتقل بيكاسو من هذه اللوحة الى لوحة اخرى بذات الحجم الكبير وبنفس الروح العارمة المتدفقة التي تطوي في اعماقها تيار البشرية القلقة وسمى لوحته السلام . وليس في نيتنا ان تحدد كما يفعل الصحفيون هوية انسان من خلال سلوكه او انتاجه فنقول : انه شيوعي ، وأنا لا يهمني ان يسمى بيكاسو شيوعياً او برجوازياً طالما انه يعبر عن ذات تشف عن روح العصر . ثم من نحن لكي نصنف العمالقة الافذاذ ، من نحن لكي نجمد وجودهم بشعار . انا لا استطيع ان اقول عن بيكاسو أنه شيوعي او وجودي او برجوازي ، تماماً كما لا استطيع ان اقول انه فنان تكعيبي او رمزي او تجريدي ، اومدرسي ، ان اي صفة محددة يمكن ان نطلقها على فنان هي تشويه للفنان وهي تزييف فاضح لاسم الفن . والعمل الابداعي يعتمد على الحرية والعفوية ، واية قاعدة مسبقة سواء أكانت هي في اصول العمل الفني أو اصول التركيب اللوني والنوراني او قواعد البعد والتجسيد ومقاييس النسب والتقابل والطباق ، انما هي قيود ثقيلة يرفض الفنان الاصيل ان تتحكم به اذ أن العقوبة وهي الحالة الوجدانية الخالصة للتعبير عن الذات الانسانية من خلال الطبيعة والواقع تتطلب الاكثر من شرط الحرية الى جانب التفاعل النفسي مع الموضوع . « ان نفوسنا ومعانينا هي كل شيء نحبه ونجده » . فلنترك جميع المقررات السابقة ولنهمل الاصول المتفق عليها بعد ان نعرفها جيداً ، ولنعتمد على حدسنا الملهم ، هذا مايريده الفنانون المبدعون ، ولكننا نحن لانعرف بعد تماماً ماذا نريد !..

وأحب ان استحضر أمثلة أخرى من لوحات فان كوخ فهل اتحدث عن لوحة الحذاء - ام لوحة الكرسي ، ام لوحة الحقل ام لوحة البذار ؟ لا أعلم ولكني أتساءل اليوم ايسر فان كوخ ان اقول عن هذه اللوحات جميعها انها تعبير عنه وعنه فقط ؟ وهل اكون قد وفيت هذا العبقري حقه بكلمتي الجدية هذه ؟..

ومن البديهي انه ليس حق الفنان في تقريظه وتكريمه . وانما في فهمه واحساسه ، ولكن فان كوخ ذلك العبقري القديس ، لم يترك للناس صعوبة تغلق عليهم فهمه وادراكه انه صريح كالشمس القاسية التي صورها بكل جرأة وحرارة ، ولقد عبر عن نفسه وعن تاريخه وعبر ايضاً عن الانسانية كلها ليس في هذه اللوحات الموضوعية فحسب وانما في لوحاته الشخصية التي تمثله في مراحل حياته المختلفة . ولشدما كنت ارغب ان أبسط مع هذه الكلمة نسخاً للوحاته الشخصية تلك وخاصة لوحتيه اللتين تمثلانه مقطوع الاذن بذات الالوان وبنفس الوقت والوضع ولا تختلفان الا بشرب في فمه ، في الواحدة دون الاخرى . ان فان كوخ في كل من هاتين اللوحتين انسان آخر . ففي اعماقه اصداء اناة المعذبين والخائفين وملامح التعساء يقتاتون تراب الفحم مع الخبز ويستنشقون سموم الغاز مع الهواء ، في ضميره آلام هذه الانسانية التي شاركها شقاءها تنخر برتابة وجوده الرحماني . فكيف استطيع تمييز وجهه المحض في هاتين اللوحتين ، بل كيف استطيع تحديد معنى الالم والسعادة في كل منها ، أكان يتألم لعذابه وفشله في حبه ، ام كان يفرح لتضحية من أجل حبه ؟

غير ان صوتاً مرتبكاً هادئاً يرتفع بخجل قائلاً : ولكنك وحدك تعلم انني انما أعبر عن الانسانية كلها » .

عفيف بهنسي

صدر حديثا

الشوق واللقاء

بقلم الاستاذ

فاضل السباعي

جماعة الاصدقاء

خاطب الخمر

لابي نواس

ياخاطب القهـــوة الصهباء ، يمهرها بالرطل يأخذ منهـــا ملء ذهبا
قصرت بالراح فاحذر ان تسمعها فيحلف الكرم ان لايحمل العنبا
اني بذلت لها لما بصرت بها صاعاً من الدر والياقوت ماثقبا
فاستوحشت وبكت في الدن قائلة يأم ويحك ، اخشى النار واللهبا
فقلت : لاتحذريه عندنا أبداً .... قالت : ولاالشمس ؟قلت: الحر قد ذهبا
قالت : فمن خاطبي هذا ؟ فقلت : أنا قالت : فبعلي ؟ فقلت : الماء ان عذبا
قالت : لقاحي ؟ قلت : الثلج ابرده قالت : فبيتي ؟ فما استحسن الخشبا
قلت : القناني والاقـــداح ولدها فرعون . قالت : لقد هيجت لي طربا
لاتمكنني من العربيد يشربني ولا اللئيم الذي ان شمني قطباً
ولا المجوس فان النار ربهم ولا اليهود ولا من يعبـــد الصلبا
ولا السفال الذي لايستفيق ، ولا غر الشباب ، ولا من يجهل الادبا
ولا الاراذل ، الا من يوقرني من السقاة ، ولكن اسقني العربا
ياقهوة حرمت الا على رجـــل اثرى ، فأتلف فيها المال والنشبا

عود الربيع

لأمين نخله

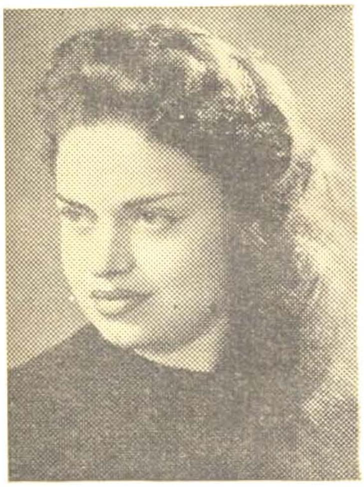
جاء الربيع وحرك الغصنا — اين الربيع ؟ واين ماكنا ؟
عودي ، فقد عاد الربيع ،وقد — عاد الحمام ، وقد تعاتبنـا
عودي ، فقد عاد الربيع ، لنـا — همس الربيع ، وهمزه عنا
انفاسه منا ، ورقتـــه — منا ، وجر ذيوله منـــا

* * *

تدعوك خلف السهل رابية — كانت لنا ولحبنا مغنى
ذكرت شبابينا ، فما نسيت — قدماً ، ولاصوتاً بها رنا
خضراء من لين الربيع ، ومن — مرح النسيم ، حوت اباً وابنا
اشجارهـــا غرف مهيأة — بالشمس ، او بغمامة تبنى
جعلت لنا في كل منعطف — حضناً ، وكل مظلل حضنا

* * *

يادرب نفح الطيب وجهتنا — ارض الكناري الذي غنى
ياغصن ، يامضنى بلا سبب — مل حولنا ، ياغصن ، يامضنى
يانرجساً نعسان من وله — قم من فراش الغنج ، غازلنا
ياورد ياابن الرقة اختبأت — في ظلك العشاق ، خبئنا
ياعشب ، يانقش الوهاد ويا — لج المروج وبحرها الادنى
جئنا بركب الحب هرولة — في دارك الخضراء انزلنا



أم عربية

شعر

الدكتورة طلعة الرفاعي

وصحت على اللحن الطروب
صحت على لحن الامومة
تصحو وهذا الليـــل
ينثر في غدائرها نجومه
والفجر يسكب نوره
في خدها الوضاء تبرا
ويروح في العينـــين
يسكب في صفاء البحر سحرا
ورمت الى الافق البعيد
بشالها العبـــق المندى
مسحت به كل الغمام
فالصحو قد غمر السماء
لكنها اذكت به في زرقة الافاق وقدا
ثارت به طهر الدماء
فارتد ذاك الشـــال
بالشفق الخضيب وقد تأجج فيه وردا
والتف حول العنق منحسر اللثام
علماً توحده المحبة والوئام
علماً تموج عليه في مصر الشآم
وتبسمت للصبح يشرق
بعد ليـــلات طويلة
ذاقت بها الالم المرير
ايام اعيـــاها المسير
في ظلمة الدرب الطويلة
ايام كان الغادر
في ارضنا يزكي السعير
في ارضنا يروي غليله
ايام تجلس في الطريق بلا رفيق
والصبية الزغب الجياع
تلهو بها الريح العتية في فطام في رضاع
جلسوا على عرض الطريق
جلسوا وكل في الثياب
وعريه مضنى غريق
ويرى ابنها كتل السحاب
تمر في الافق الرحيب
فيخالها طبق الحليب
ويمـــد كفا في الفضاء
يمد كفا شاحباً
يدمي بها مهج الغيب
ويقول : امي جائع
فيجيبه الدمع الدفيق
وتضمه للصدر
والقلب الممزق في حريق
ويرى اخوه البدر
بين السحب
منهمر السناء
وعلى المنى منه رفيف
فيخاله قرص الرغيف
ويروح يشهق بالبكاء
مقطعا كبد السماء
ويخر فوق الارض مذبوح النداء
فتضمه للقلب والقلب المروع في ضرام
وتقول نم .. نم يابني عساك تشبع في المنام
نم يابني على الظلام غدا سينقشع الظلام
انا من رعيت على الجوى الاجيال
في حزن وبؤس
اظما وانهلهم نجيع القلب
من روحـــي وحسي
فسريرهم عظمي الدقيق
ووسادهم زندي الرقيق
وندى الحنان اريقه من مهجتي ازكى رحيق
والفاتك الغـــدار يضرم في مضاجعنا الحريق
ويبيد من حولي الصغار الغر والاب والشقيق
انا من صمدت .. ولم يكن يوما سوى قلبي سلاحي
وجراح شعبي لم تكن بين الضلوع سوى جراحي
انا لست انسى اسكندرون ولا فلسطين السليبة
وعلى ربى اوراس ماجفت جراحاتي الخضيبة
سل عن دمائي عن دماء الورد سل عني الخميلة
ايام يسكرها النجيع على نداءات البطولة
انا من سقيت المجد الحان العلاء انا رجاء .. انا جميلة
هذا نشيدي في الجهاد .. نشيد شعبي الثائر
انا ام ابطال الوغى .. انا ام عبد الناصر

من وحي المهرجان

شعر
السيدة عزيزة هارون

من أرض مكسيم الجميلة قد أتيتك ياحبيبي
وبمقلتي مفاتن الدنيا وأحلام القلوب
ماذا اقول وقد أطل الفجر يبسم في الدروب
والزهر الحان منغمة الطيوب

* * *

والنور الوان ترف فكل بارقة تحية
والأفق مسحور تدله بالهتافات الشجية
وصبية هرعت بانداء الحنين الى صبية
والود منهمر ودنيا المهرجان منى سخية

* * *

يافاتني ماذا أرى في مقلتيك ؟ . . . ظلمت حبي
غيران عن صور الجمال تعلقت برفيف هدبي
قسماً بالام العروبة قد ضممت عليك قلبي
وعشقت في عينيك وثبة أمتي ونضال شعبي

* * *

قل ياحبيب وانت في الفرسان زهوي واعتدادي
قل ياحبيب أجب سألتك بالفداء وبالجهاد
انا لست أعلم بالسياسة كل علمي من فؤآدي
أتعود للدنيا كما كانت معززة بلادي ؟

* * *

قل لي سألتك في دم الاحرار يشرق بالحياة
في القدس في الأردن في ارض الجزائر في الفرات
هذا الدم الموار يلهب في أتون الحقد ذاتي
قل : لي متى يافارس الغمرات تفتك بالطغاة ؟

* * *

ماذا تقول أعد على سمعي صداحك عبقرياً
الشعب شعبك ياحبيبة ثار جباراً قوياً
فتفجر البركان من صيحاته يدوي دويا
فاذا لمحت على المدى لهباً توقد من محيا
قولي أخي بالثأر جاء فقد تجلى يعربيا

* * *

يالفتى العربي كيف تنام فتيان العروبة
والارض مازالت بقتلانا وجرحانا خضيبة
لالن تري أيتام يافا في بوادينا كئيبة
غني لفرسان الجهاد لساعة النصر القريبة

* * *

انا لم أغر ياأخت روحي من مدائحك الحسان
في المهرجان ولحنك السحري زهو المهرجان
لكن شعرت بغصة الحزن المرير بمنفواني
وسألت نفسي كيف لانعلو على قمم الزمان
وخجلت منك ، من الديار ، من العروبة في كياني

السراب ... بسنزويه

قصة

بقلم

مطاع الصفدي

كان الطريق الى بيتها قصيراً مزوراً بالظلال الدكناء ، أقرب اليه من دخان سيجارته . ولكن قدميه ما حاولتا أن تمحيا تلك المسافة قط بين أن يقف ويتردد ويجتر مرارة قرار هرم ، وبين ان يطل البيت عليه بالواجهة القاتمة دائماً مقنعاً خلف شجرتين من االسرو وقد انطلقتا كعملاقين يصلان بين سواد الارض وقتام الفضاء .

ان الدعوة ما زالت قائمة منذ . . عدة شهور ، منذ أن حضر الى دمشق ولمح زوجها في المقهى . . هناك في ازدحام الناس والانفاس والثرثرة شد أمين على يده وانكب على وجنته مقبلا . وجلسا معاً الى منضدة منعزلة ، وسرعان ما تشعب بهما الحديث الحار الى أيام الدراسة والمظاهرات الجامعية . غير ان نقطة من الجمود قد استقرت في نفسيهما معاً منذ اللحظة الاولى . . ولا تلبث هذه النقطة ان تمد بجمودها الى فترات الصمت السريعة التي تقطع الحديث والبسمات والمجاملات . كان الجو لا يلبث حتى ينقشع عن المودة المصطنعة ، ويبرز دخان المقهى من خلف كل شيء ، ويسرح كل منهما محاولاً ان يدفن نظراته في غبابه .

ان امين سريع الحركة ، جاحظ العينين قليلا كأنما يحاول ان يلحق بعينيه شيئاً هارباً منه دائماً . وتعبث اليد المعروقة بالعقدة ، بأزرار القميص تحت العقدة . ويد اخرى تلمس الشعر المجعد . ولكن الاسنان الطويلة الصفراء لا تختفي ابداً تحت هذه البسمة المشدودة على حذر ودقة في التعبير ، وخبث مكور في طرف الثغر يميل به نحو الاسفل . والرأس قد يطرق ، ويلتفت الى اية جهة . ولكن العيون لا تلتقي بعيون الآخر مطلقاً . ويجرع كأس المـــاء من الخادم بلمحة بصر . ثم يفجأ الآخر بضحكة فارغة الا من ضجيج نحاسي . انه يستغرق حتى الدفعة الكاملة من الماء ثم يغطي ذلك بالضحكة الجوفاء . كان ذلك الرأس المثلثي لا تكاد تكسوه الا جـــلدة صفراء شدت على تقاطيـــع جمجمته شداً غريباً ، جعل الرأس كله يبدو في حركاته اللولبية السريعـــة كأنما ركب تركيباً طائشاً على جسد مكتنز لا علاقة بشحمه اللزج ، بالرأس العظمي العصابي وكذلك لا علاقة باليدين المعروقتين بشحم الجسد ، وان كانتا تبدوان كعضوين لا نفـع لصاحبهما بهما . بل ان اليدين تربكانه ، لا يعرف كيف يتخلص من هذه الزيادة كأنهما يدان لموسيقي هرم ، تلاطم شحم جسده وبقيت يداه تعبثان على غير هدى بتلك الاصابع التي اضاءت ملمس الاوتار منذ القديم .

استطاع امين ان يفلت اخيراً من ثقل الموقف فقام مودعاً صديقه الذي هبط عليه فجأة من وراء الزمن . . وليد ، هذا الشاب المبيض الفودين المقبوض الاسارير على ثقة شيطانية مكبوتة :

ــ لا اريد ان اطيل جلستنا الاولى . ربما كنت تعباً وتود العودة الى الفندق . يالي من غبي . اعتقدت لزمن انني لن اراك طول العمر . استودعك الله الآن . انت تعـــلم اننا ننتظرك دائمـــاً في البيت ، بيتك . ارجو ان تكون زيارتك ذات مساء قريب . انا اقضي الليل دائمـــاً في البيت لا تنس . نحن بانتظارك .

واخترق صفوف المناضد وانسرب الى خارج المقهى تسبقه عيناه الجاحظتان الى ذلك الشيء الذي يلحق به دائماً ولا يدركه .

وانقضت شهور ثلاثة دون ان ينفذ وليد ذلك الوعد المعلق ، الى ان اتصلت هي بهاتف الفندق والحت عليـه ان يأتي مساء اليوم لتناول العشاء معهما .

حدج وليد الواجهة المتجهمة للبيت للمرة الاخيرة ، ثم اتجه نحو باب الحديقة الحديدي . وقرع الجرس وولج الى المدخل فصدمه دفعة واحدة عالم من الحرارة ، حرارة (التدفئـــة المركزية) والعطر . عطرها القديم ، تتخلله روائح الطعام . . واصوات الاطفال ، وضجة الراديو . ومن وراء الخـــادم . العيون الجاحظة ، والكرش ، والانف اليوناني يبرز من ذلك الوجه . او (الشمس) التي تهل كما كان يدعوها دائماً .

راحت نائلة تدور به في ارجاء البيت . لم تفقد رشاقتها ، لا في حركتها الطافرة الملحنة ، ولا في غزارة كلامها وتعابيرهـــا المتلاحقة ، تود لو تحيط بالموضوع كله للحظة ومن مختلف جوانبه . تعلق وتضحك ، وتدور حول نفسها ، وتلقي بنكتة ، ثم تقذفه بنظرة جامحة تمر كالبرق الخاطف . . في زخم الموقف المتشابك بكل العناصر المتنافرة . . ولكنها الحلوة المفاجئة . لقد اطلعته على جميع الغرف ، وابرزت له خصائص الاثاث المبتكر . ولم يبق

الا غرفة النوم . ودهش وليد عندما قالت له مشيرة الى غرفة منعزلة في آخر البهو ، هناك غرفة نومي الخاصة بي ، وهـذه (مشيرة الى غرفة صغيرة قريبة) غرفة امين ..

– لقد رأينا منذ مدة انه من الافضل ان ننام منفصلين ، سيما وان بيتنا كما ترى كبير ، وفيه غرف متعددة ان صديقك امين بدأ يهرم .. ويشتد شخيره ليلة بعد ليلة. وانا مازلت تلك الحساسة الكئيبة .. اضعف صوت يذهب النوم عن عيوني طيلة الليل .. ما كدت ان اتخلص من الاولاد عندما كبروا .. حتى بدأت افكر بالتخلص من شخير زوجي .. انه يلقي علي دائماً في نومه اتعاب يومه كله . ياله من مسكين ، تصور انه وكيل لاكثر من ثماني شركات ، انه يدافع عن تجار العالم كلهم .. عن كذب الشركات كلها في دمشق .

وتنتىء ضحكة مبهمة من فم امين :

– انني اعيل اسرة ياصديقي تبتلع في الشهر الواحد اكثر من خمسة آلاف من الليرات ، اجرة البيت والخدم والسائق. ورسوم المدارس ونفقات المكتبات .. اكثر من اربع مكتبات تستورد صاحبتنا كتبها بواسطتها .. هذا عدا عن ثيابها .. فلو انك تزوجتها انت .

– ماهذا ياامين ..

– حسناً .. لابأس .. لو تزوجتها لاضطررت ان تشتغل جاسوساً عند الانجليز في الاردن وتصبح وزيراً وتطلق النضال وافلاسه .. من حسن حظك انها كانت من نصيبي أنا وحدي .

تلك هي خطبة أعدها من قديم ولا ريب ، وهذه مناسبة طيبة لالقائها . وبذلك تنحل عقدة الموقف كله ويستريح كل واحد منا .

كانت مائدة العشاء عامرة بالمآكل الشامية الدسمة .. وما كان ثمة شيء غير عادي في احاديث المائدة سوى انني عندما حاولت ان اتجرع كأس النبيذ الاولى نخب الحرية في بلادي كدت اختنق بلذعة الخمر العنيفة لولا انني ضغطت اللذعة ، وشعرت بالدم يصعد الى وجهي . وعندئذ لمحت حزناً شاعرياً يغمر طلعة نائلة ..

ما كان أحب الى ذلك الحزن الدافىء الذي كنت اتذوقه بعيني ، بالنظرة النشوى التي تغب كل العالم الى قعرها .. عندما كنا نتلاقى في فرص الدروس الجامعية ، ونجول في الحديقة الجانبية ، ونقف هناك ، نشرف على وادي بردى والخضرة الموشحة بالضباب .

– اود ان ينتهي كل هذا قريباً ياوليد .. اوشك كل شيء على الانتهاء .. لم يبق الا نتائج الفحص وتنقضي حياتنا الجامعية وبعدها سيفترق كل الى طريقه .. اربع سنوات اليست كافية لنقرر امراً .. لم ار شاباً متردداً مثلك ..

– اجل ! ولكنك تدركين لماذا انا متردد ، انني ابن رئيس عشيرة ملحقة بالمستعمر منذ ثلاثين عاماً .. عندما أرجع الى الاردن لن تكون حياتي رائعة

– أنا أحب الصحراء .!

– أجل ! لصيد الغزلان .. ولفسحة يوم أو يومين ، أما الرمل اللاهب ، والشمس العنيفة القاهرة ، أما حياة الرحيل وراء الخضرة النادره ..

اما مطاردة قناصة الانجليز لنا .. اما انحناء أبي على يد الضابط الاشقر .

أما الموت لاطفالنا .. لاغنامنا ، فأنت لا تعلمين عن هذا اي شيء ، او ربما كان ذلك حلماً رومانسياً لك ..

– لست ادري لماذا لا تعيش كغيرك من الناس .. ان ابناء العشائر يملكون افخر السيارات ويذرعون بها شوارع دمشق وبيروت ، ويشترون بذهبهم نساء ملاه كاملة بباريس .. انا لا اقول لك عش تلك الحياة ، ولكنك مسؤول .. مسؤول عني انت كذلك .. اربع سنوات وانت تعذبني بالأمل بالحلم ، بالمستقبل السعيد ..

– انا لم اقل لك شيئاً عن هذا المستقبل ، ان احداً لا يمسك بمصيره بمثل الصورة التي تتخيلين .

– اما كفاك التمرد هنا ، الجعجعة والخطب الرنانة ، والفرار من بيت الى آخر . لم تبق مظاهرة الا وكنت احد قوادها .. لقد قدمت ما عليك من واجب لامتك سواء هنا او هناك ، ولا بأس من ان تترك العمل للاجيال التي تلينا .. لقد نلنا نصيبنا من التضحيات والشقاء .. لنا الحق بالقليل من السعادة ، بشيء من الحياة الطبيعية .. يجب ان يكون لنـــا بيت واطفال ، ما بالك تضحك !؟

– أتدرين يانائلة أن عشيرتي هي من أفقر عشائر البادية في الاردن .. منذ أن وعيت وأنا أغذ بها السير نحو العميق من الصحراء . نفر من المراعي والاراضي الخصبة القريبة من الجلادين الشقر .. تخلينا عن مناطقنا ، وتوغلنا في الرمل المحرق لنفوز بشيء من حريتنا .. انني وعدت شعبي ان أرجع لهم مراعيهم وأراضيهم .. وعدتهم ان أزيل عنهم شبح الطواغيت ..

انهم يصبرون .. يبيعون كل عام الآلاف من أغنامهم لينفقوا علي هنا في دراسة الحقوق . انهم يعيشون ليوم عودتي .. لليوم الذي أرد به ديوني حرية وكرامة ..

وأما أمين فقد كان يومذاك رجلاً ضئيلاً شاحباً ينسرب من حلقة الى اخرى بين الطلاب يستمع طويلاً ويلاحظ الوجوه ويسأل عن الاسماء ثم يغيب وفي اليوم التالي يختفي بعض الرفاق في السجون .

وابتلعت نائلة جرعة اخرى من النبيذ الثمين ووجهت حديثها الي :

– لم تخبرنا ياوليد عن احوال العشيرة ، أتراها استرجعت حقوقها في اراضيها . لابد ان النكسة قد عادت ببعض الشر على قومك .

-- انهم يطوفون مرة اخرى في الصحراء . ابتعدوا الى الآفاق كعادتهم .

– سمعنا انهم استعانوا بالبدو .

وانتفضت ، ولكنني قلت بهدوء .

– ليس من اهلي . العشائر الاخرى مسيرة من رؤسائها المباعين .

وقذف امين بضحكة تنقط حقداً وتشفياً .

– أرأيت .. انهم هناك يريدون ان يبعثوا عهد المعجزات انظر الى نفسك قليلا ياصديقي . بعد خمسة عشرة عاماً رجعت الى هنا متشرداً مرة اخرى . كأنك مازلت في النقطة الاولى من كل شيء . لم تفعل شيئاً . لانــــه لايمكن فعل اي شيء . هذا ماكنت اعتقد به دائماً .

وتجمد وجه وليد اكثر على عاصفة مكبوتة ، وقال بهدوئه المعهود :

– نحن فشلنا هناك . صحيح أتدري لماذا ، أيستطيع عقل المحامي عن الشركات ان يعلم امراً عن القضايا الكبرى التي يلتزمها شباب صامتون في محاكم لاأثواب سوداء فيها ، ولا حدود لمكانها . ولا وجه لحكامها يطل عليك . الا من صميم مأساتك انت . أتعلم هذه القضايا التي لاتديرها ظروف المال ويربحها اصحاب المال ويخسرها انسان مثلك ، لانه يخسر نفسه مع كل دفعة جديدة تضاف الى رصيدك في البنك . نحن فشلنا هناك لان احداً منا .. لان احـــداً من الذين تبجحوا يوماً بالقيادة ماكانوا حتى على مستوى القضية .

ويقاطعه امين وقد التقط قوة جديدة لموقفه :

– ولهذا مثلا تزوجت انت من .. من انجليزية . ولهذا عشت في المدينـــة بعد ان رفضت الشقراء سكنى الصحراء ، ونسيت قومك . واسترحت الى نصر صغير .

ترى اين هي الآن ؟

وصعقت نائلة . توقفت عن الطعام ، وقفت نظرتها تلقاء الوجه الشاحب الصارم وقالت شبه مأخوذة :

– أتزوجت ياوليد !!

– اجل .. ولكنها ذهبت ذات يوم . اختفت بين الناس كما اختفت عشيرتي عني بين الرمال ، لقد هبت عاصفة مرة فقضت على اكثر رجال العشيرة وهم يتوغلون في الصحراء كما طمرت الاغنام . والباقون وهم قلة تفرقوا والتحقوا بعشائر أخرى في البادية ، كان ذلك في يوم واحد تقريباً نكسة الحرية في البلاد واندثار أهلي ..

كانت هناك فتاة صغيرة ذات جدائل شقراء ، تجلس الى طرف المنضدة ، لم اعرها انتباهي للوهلة الاولى . كان اسمها نجلاء وهي الولد الاول لنائلة ، ما ان وصلت الى هذا الحدمن الحديث ، وخيم الصمت على المنضدة ، والتهمت أمين بقية من خجل ، كما عقلت الدهشة والمفاجآت المتوالية لسان نائلة ، فراحت تعبث بأدوات الطعام دون أن تأكل شيئاً في تلك اللحظة رن صوت نجلاء بلهجة حية طروب :

– عمو وليد ، لازم ماتزعل نحن كلنا فرحين أنا ماشفت واحد زعلان حتى ولا ولد بالمدرسة بكي من يوم ماأجا عبد الناصر للشام لازم بكرة ناخدك كلنا لعنده ومتى ماشفته حاتبطل تزعل عالطول ، موهيك ماما !

★ ★ ★

لقد رأيتهم جميعاً يغالبون دمعة حتى أمين كانت عيناه قد اشتد جحوظهما وغشيتهما لهبة حمراء . وعندما رجعت الى الطريق تلقفتني الظلمة الباردة فجأة ، والتفت الى البيت ، وكانت واجهته مازالت مقنعة بظلين كبيرين ماردين لشجرتي السرو ، الا ان هبة ريح كانت تعبث بالظلال والاغصان الكثيفة ، فتتلامح من الخلف بعض الانوار الخابية من البيت الكبير ، كما تستقر في أعماقي همهمة الشجرتين برهبة مؤلمة .

كانت أقدامي تسوقني نحو ذلك الكهف ، هناك قبل أن أصل الى فندقي ، لابد لي ان اهبط الى القبو وامكث فيه حتى مطلع الفجر ، كعادتي . وانتزعت عيني من بلاط الرصيف لاول مرة منذ تركت البيت ، وتطلعت حولي ، كانت زرافات

الناس تجر أقدامها تعبة ولكنها تغرق في لجج من الضحك والكلام انهم راجعون من عنده ، ذلك الرجل الاسمر الذي يقف الساعات يطل من الشرفة ويرفع يد القدر بيده ، ويلقي بعين التاريخ الى امواج البشر وينثر كلمات الحياة البسيطة من فم ماعرف الكذب

ترى لماذا لم انحسس بعد بطلعة ذلك الرجل ، بالسمرة ، باليد القادرة ، بالكلمات البسيطة الفاصلة ، بالناس والهتافات والافراح المتدحرجة على أرض الشوارع في المدينة ، مدينة الكآبة تلك مازالت قابعة في اعماقي . انني تاريخها ، ولكنها هي لم تعد نفسها انها عالم من النور الصاعق والنشوة الالهية ..

لم تفارقني كآبتي الا عندما اقترن اسم الرجل الكبير بالفاظ الطفولة ، بالفم الصغير الذي لا يكذب قط ..

انحدرت الى الكهف ، وكنت أود الا ادخله بعد الليلة ولكني صممت أمراً . هنا تنعقد حلقات المتشردين الفاشلين ، الهاربين أمثالي ، حول الدخان والخمر ، والنظرات الزائغة او النكت السمجة . وفترة صمت تذكر الظهور بأحمالها ثم جرعة وضحكة وبصقة ، وضياع في الجمع والهم الواحد والمصير المنتحر الواحد .

– لن أشرب .. لا أريد سيجاره ! .

صوت من جمجمة : ها ؟ وماذا دهي الاستاذ وليد

صوت من أنف مزكوم : كان عند حبيبة الصبا .. دعوه لقد سكر اذن !

صوت من شفتين غليظتين : الم تفزمنها بموعد هذا المخبول امين يجب الاتعيره التفاته ..

صوت من جيب : اسمع لقد فات اسبوع .. لم نقبض قرشاً واحـــداً .. ولكنك أنت أخذت تعويضك .. أليس كذلك ، اذن ادفع عنا هذه الليلة .

صوت آخر : بعضنا لا يملك ثمن دخانه وكؤوسه .. وبعضنا يستأجر بيوتاً .. ويفرشها بآلاف الليرات .. كأنما سنبقى هنا الى الابد .. انت يا وليد قل لهؤلاء اننا سندفعهم يوماً الى ارض النار دفعاً .. فلا نفع لهم بشيء من سقط المتاع .. ليدفعوا لنا ثمن دخاننا وكؤوسنا .. ليدفعوا !

ويصمت الجميع أخيراً . لقد ادركوا ان ثمة شيئاً جديداً غريباً ، يختفي في أخاديد وجهه .. وعندئذ تكلم وليد :

– هل تدرون ماذا يجري هناك في الاعلى .. فوقكم .. ان الحياة تعمر الدنيا ، دنيا العرب العجفاء ، تطرق ابواب النتن وتنير الجحور ، تطمر الجثث التي تملأ وجه الارض ، تفتح الاقبية للشمس ، وتحطم فيها براميل الخمور ، خمور النسيان المرم ، الذل المعتق ، الكآبة الازلية .. في الاعلى دعوة فاصلة للاحياء ان يحيوا وللاموات أن يموتوا والى الابـد .. فمن اي هؤلاء نحن ، واصفر احدهم وابتلع القدح جرعة واحدة وقال وهو يلهث ويمسح قطرات العرق من الشفتين الزرقاوتين :

– ماذا تعني .. افصح .. انني معك ، كرهت حياة الخنزير الذي يعلف ليكتنز لحمه ولا عمل له .. قل شيئاً

وصاح أحدهم موقظاً الآخر :

– هذا تمرد .. لدينا أوامر بالبقاء هنا

وعندئذ كشر وليد عن انيابه وقال :

– أية اوامر هذه .. من يصدرها ومن ينفذها .. الذين يستأجرون الشقات ويفرشونها بالاثاث الفاخر .. الذين يرمون التصاريح الجوفاء في مناسبات الآخرين .. ان افراح دمشق تعني شيئاً آخر للاجئيها ..

وعاد المصفر :

– لا سبيل لنا الى حياتنا الحقيقية الابقر او واحد . ان نعود .

وتمتم وليد :

– يجب ان نعود الى ضفاف النهر المقدس . هناك فقط نحن احياء ، هناك نهي ء فرحة اخرى للعرب ، ويوماً آخر لعبد الناصر يطل فيه على ابناء النهر المقدس .

وتثاءب رجل اصلع ازرق العيون ، مهدل الجفون :

– نحن نرجع . وماذا سنفيد . السجون والسوط والشتائم تنتظرنا . لا نفع لنا ياصديقي . دعك من الحماس . نحن هرمون ادينا ماعلينا ، ولم يخرج منا الا هـــذا . فلتبرز الاجيال الاخرى الصاعدة .

وانتهره وليد .

نحن قطعنا عليهم الطريق . نحن طريقهم . على ظهورنا وهاماتنا يصعدون ، ان الحياة استمرار ، والنضال تاريخ متواصل .

وتكلم المصفر بعصبية مرهقة :

– يجب ان نرجع اولا . وهناك نعلم ان كنا هرمنا او مازال فينا طاقة قوة وصمود .

وقام وليد والقى نظرة سريعة على الجميع .

– غداً سأرحل . سأتدبر طريقة للعودة الى بلدتي . سنتقابل هناك ثانية . على ضفاف النهر المقدس .

* * *

في الليلة التاليـة كان صاحب الكهف يرقب الباب بيأس وقنوط . وينظر الى ثلاثة اشباح مكورين في الزاوية يتجرعون الخمر بصمت مرهق . مطرق كل واحد رأسه فوق قدحه . واما بقية المناضد فقد بقيت فارغة . كان الجميع في الاعلى مع الاحياء يهيئون يوماً آخر واطلالة سمراء ثانيـــة على ضفاف النهر المقدس

دمشق – مطاع صفدي

رسالة الأدب العربي الحديث

بقلم

الدكتور جودة الركابي



تتميز الآداب الحية بانها صورة الحياة ، نعيش فيها وتنبثق عنها . وادبنا العربي لم يكن الا دفقة تلك الحياة التي عبر عنها والبيئة التي ترعرع في ظلالها .

فالأدب الجاهلي كان كريماً في تعبيره عن الحياة الجاهلية وعن آمال الناس ورغائبهم .

والادب الاسلامي استطاع ان يصور الروح الجديدة التي أدخلها الاسلام في حياة العرب والقيم الخالدة التي غمس فيها نفوسهم . حتى ان الشعر لم يقف عند حدود شعر النسيب والفخر والوصف والهجاء بل امتزج بشؤون الاعتقاد وبأغراض المنازعات والمناقضات .

وقد بقيت ظاهرة التعبير عن الحياة واضحة في الادب العباسي ، واستطاع نفر من الشعراء والكتاب في مختلف عصور هذا الادب ان يصوروا حياة الشعب وآلام الناس ، وان ينتقدوا جور المجتمع ويسخروا من تناقضاته في نتاج خالد تركه لنا امثال ابن المقفع والجاحظ وابن الرومي والمعري وغيرهم .

وقد عرف الادب العباسي تطوراً كبيراً فرقت حواشيه وسهلت عباراته وتنوعت موضوعاته واخذ يداخل افكار الناس ورغائبهم ، ولولا ماظهر على شفاه بعض الشعراء من شعر صعدوه بخوراً عطراً في قصور الملوك والامراء والمترفين ، ولولا الصنعة التي اخذت تثقل انطلاقته بالقيود اللفظية فتبعده احياناً عن عفوية التجربة ورنة الاخلاص وصدق العاطفة وجمال العبارة ، لقلنا ان الادب العباسي كان خير مثال للادب المعبر عن واقع الامة وآمالها ، ولكنه على الرغم من انطلاقاته وتنوعه واختلاف اشكاله لم يستطع ان يهجر القصر والسلطان ليصبح ادباً للناس لا ادباً للخاصة ، ولعله ، وهو يقف هذا الموقف ، كان مخلصاً في تصوير البيئة التي كان يعيش في ظلالها .

هذا الادب العربي العريق قام برسالة وحمل عبئاً كبيراً اذ خلد امة وقدم لها جميع الأسس القوية القويمة لادب جديد بعد ان انتابها الجمود والخمود خلال قرون طويلة .

فقد غفت الامة العربية خلال عصور الانحطاط والعهد العثماني غفوة طويلة ثقيلة كالرصاص ، وقيدت خلالها بسلاسل الجهل والظلم والفقر وانحطت الآداب والفنون ، وعطلت الاذهان والاقلام ، ولكن أصالة الامة العربية بقيت جاثمة في احشاء الزمن حتى بزغ فجر النهضة الحديثة في مطلع القرن الماضي ، وافاقت امتنا من سباتها العميق وقد هزتها غزوة نابليون الاستعمارية لأرض مصر ، فكانت الشرارة الاولى التي قدحت زناد الفكر العربي ، فهب ينفض عن كاهله غبار السنين المظلمة في كفاح طويل مرير لم ينته بعد .

ان فترة النهضة الادبية الحديثه فترة طويلة بدأت منذ مطلع القرن التاسع عشر وكانت متجاوبة مع الحركة الوطنية الحرة التي قام العرب يعملون لها ويبذلون الدماء رخيصة في سبيلها . ولقد قام الادب العربي الحديث الذي فجر ينابيع اليقظة والانبعاث بتأدية رسالته ، وشق رواده الاولون الطريق للقوافل المتتالية التي جاءت بعده .

ولقد كانت رسالة الادب العربي الحديث في فجر نهضته تهدف الى امرين اثنين : الاول منهما يتعلق بالموضوع والثاني يتعلق بالشكل .

اما الهدف الاول الذي يبغي الروح ويقصد الى الموضوع فهو الحرية ، الحرية بأوسع معانيها ، حرية تنشد الاستقلال الوطني ، وتبغي التخلص من ظلم المستعمر والقضاء على الاضطهاد الاجتماعي والفكري . وقد كان انتاج ادبائنا منذ انبثاق فجر النهضة يهدف بصورة شعورية او لاشعورية لتحقيق هذا الغرض سالكا سبيل الحرية والنعي على الطغاة المستبدين والحكام الظالمين ، وهو بذلك يواكب الكفاح الوطني بل كان شعلة هذا الكفاح ومؤرث نيرانه ومؤجج ثورته .

اما الهدف الثاني الذي يتعلق بالشكل فكان يرمي الى بعث الاسلوب العربي وتنقيته مما علق به من ادران عصور الانحطاط ، والقضاء علي الاساليب البالية التي كان ينتهجها ادباء ذاك العصر المتخلف والتي كانت تعنى بالزينة اللفظية والفراغ

الفكري عارضة أتفه الموضوعات التي لاتغذيها شعلة الانسان وروحه .

وقد وجد الرواد الاولون الذين رغبوا في تجديد اساليب الكتابة والشعر ان خير طريق الى تحقيق هذا الهدف هو العودة الى الادب العربي القديم في ايام ازدهاره لترسم خطاه . ومن هنا كانت فكرة التمسك بالماضي الاصيل من اهم اسباب نهضة الاساليب الادبية الجديدة وكان نتاج محمود سامي البارودي واحمد شوقي وحافظ ابراهيم والرصافي والمنفلوطي والكواكبي خير شاهد على مانقول . نعم لقد قاد هذا الاتجاه الى احتدام معركة القديم والجديد وكانت معركة خصبة أسهمت في ازدهار ادب النهضة ، اذ ان القديم لم يكن في مفهوم مقدميه ميتاً ولكن كان قديماً خصباً فيه بذور الحياة الجديدة ، ولهذا انبثقت من هذه المعركة التي انتصر فيها القديم ـ الجديد ، انبثقت اساليب جديدة هي من اهم طوابع النهضة الادبية الحديثة .

هذه الاساليب الجديدة وبما جاءها من روافد الآداب الغربية ، هي التي فتحت امام الادب العربي الحديث طريقاً واضحاً سليما فأخذ الادباء عندئذ يتحررون في وعي وتفهم من الاساليب القديمة . ولكنهم بقوا محافظين على نصاعة اللغة يتخيرون لها القوالب الحديثة والموضوعات المنتزعة من صميم الحياة فكانت هذه الأنماط الجديدة خير قالب حوى افكار النهضة الادبية الحديثة ورأينا الاقلام العباقرة يحملها امثال طه حسين وتوفيق الحكيم وعبد القادر المازني ومحمود تيمور وجبران خليل جبران وايليا ابو ماضي وغيرهم من ادباء هذا العصر .

فالادب العربي الحديث منذ انبثاقه كان يعمل لتحقيق هذه الرسالة التي أشرت اليها ألا وهي دعوة الى الحرية ، ودعوة الى التجديد الفني والقضاء على اساليب عصور الانحطاط وطرقها في التعبير .

واجدني استطيع ، ضمن هذا الاطار ، ان اوضح رسالة الادب العربي الحديث توضيحاً اكثر اتساعاً وشمولاً . ولكنني احب قبل كل شيء ان احدد مفهوم الادب بحسب النظرة الجديدة التي ينظرها اليه نقاد هذا العصر وبعض ادبائه .

يرى الاستاذ صلاح عبد الصبور ان « هناك من يدعي بوجود ادب ذاتي وآخر موضوعي ، ويسمي الاديب الذي يتحدث عن عواطفه الخاصة وانفعالاته ومشاعره اديباً ذاتياً ، ويسمي الاديب الذي يصف مجتمعه وبيئته ويتحدث عن مشاكل الناس وعواطفهم وافكارهم وعن احساسه بالاشياء اديباً موضوعياً »

ويرى الاستاذ صلاح عبد الصبور ان هذه النظرة القاصرة مازالت سائدة الى حد ما في تقويم مفهوم الادب والادباء .

ونحن لانرى في واقع ادبنا مايدعو الى هذا التقسيم الهندسي ، فالحقيقة ان الذات والموضوع كما يقول الاستاذ عبد الصبور ـ يتداخلان تداخلا كاملا في كل اثر ادبي ناجح . فالاديب او الفنان انسان يرى الاشياء من خلال ذاته ، هو انسان في مجتمع وهو يحس بما يعكسه هذا المجيمع في نفسه ولذا فهو لايستطيع ان يهرب من مجتمعه او محيطه اذا اراد ان يعبر عما يحس او يصف ما يرى ويشاهد . انه اليوم اديب الحياة ، ولم تعد الحياة مفصولة عن ذاته . وأسطورة الفن للفن لم تعد باقية الا اذا امكن فصل الفن عن الحياة أي فصله عن الذات . والاديب الناجح هو الذي نستطيع ان يصهر العالم الخارجي في نفسه لينقله الينا وفيه حرارة الانفاس الانسانية .

باسم هذا المفهوم يعمل اليوم اغلب ادباء عصرنا الحديث ، انهم يصورون مجتمعهم من خلال ذواتهم ليقدموا لنا ادباً ذاتياً حراً ترتسم فيه مآسينا الوطنية ومظالمنا الاجتماعية ويدلنا ببلاغة صادقة الى طريق الحرية والعدالة .

ولذا ارى رسالة ادبنا العربي تتلخص في الامور الآتية :

اولا : انه في انسانيته ذو رسالة قومية : فأديبنا العربي في دعوته الى القومية العربية انما يؤكد انسانية العرب وحقهم في الحرية والاستقلال ، ولذا فهو يكافح بقلمه ضد مختلف انواع الاستعمار ويعكس لنا نضال الامة العربية وتوقها الى الحرية والوحدة . ومن واجب الاديب العربي ان يضع نفسه في خدمة هذه الرسالة والا يبخل في تمجيد البطولات الشعبية التي ضحت وتضحي في سبيل الوطن وان يخلدها في ما يكتبه من مقالات وروايات ومسرحيات .

ثانياً : انه ذو رسالة اجتماعية اصلاحية : فعلى اديبنا العربي ان يدعو الى العدالة الاجتماعية ، وعليه ان يصور مآسي المجتمع ليجد طريق الخلاص . وعليه ان يحارب الفساد ويقضي على الضعف الخلقي البادي في سلوك اساليب النفاق لستر العجز ، وعليه الا ينخدع بأولئك « التائبين » الذين يجدون في « توبتهم الزائفة » ضرباً ناجحاً من ضروب الخداع .

بعد هذا ، لادبنا الحديث رسالة فنية جمالية تتجلى في ارهاف ذوق المواطن وتكوينه فنياً ليجعله اكثر استعداداً للتحسس بالآثار الفنية والتلذذ بقيم الجمال العليا . فمهمة الاديب ان يشحذ النفوس وهذه الرسالة تعظم الآن في نضالنا الوطني والاجتماعي وعلى الاديب العربي ان يحول دون وجود المواطن المتلبد الذي يقبل القبح في جميع اشكاله .

فرسالة ادبنا اليوم رسالة انشاء تنبعث من الشعب الذي فيه تكمن اقوى الطاقات النضالية كما تكمن فيه اسمى المشاعر الانسانية ، فلنعد الى الشعب لنرد اليه هبته ، لنرد اليه الكلمة المجنحة الخلاقة بعد ان منحها لنا جراحات وصيحات وآلاماً ومنحها لنا ايضاً في كثير من الحالات اناشيد وزغاريد وخفقات قلوب ترتجف بالمحبة والحنان .

شتاء قاس آخر

بقلم

سعيد حورانية

أنا شخصياً أحب شجرة الليمون اللطيفة التي تعيش في بيتنـا ، ولا أظن أنني عقدت صداقة مع شيء في الدنيا على مثل المتانة التي عقدتها معها . كانت تشبه أميرة رقيقة من الأميرات اللواتي كنت أقرأ عنهن في القصص أميرة حقيقية شامية ، تجلس على أريكتها وقد تدثرت بحرير أخضر . . النوافذ مفتحة على جبال خضر ، والكتاب الذي بين اصابعها النحيلة ، موشح بشراشب من الديباج الزاهي ، تنوس ثم تتكىء ، في دعة ورخاوة على أطراف معاصمها التي تبرق باللآلىء .

كانت أرق من أن تتفلسف ، بل كانت تعيش ببهجة فقط ، والجواري من حولها يدخلن ويخرجن في خفة الطيف حتى لا تؤذيها الضجة ، ويدثرنها حائرات من العطر الزنبقي الأريج الذي يغلف الغرفة بسحابة شفافة قوس قزحية ، وحينما كن يغلقن النوافذ في الليل الندي ، حيث لا تزال أغاني الصنوبر الحزينة تنوح في مملكة الظلام ، يتركن السجف مرفوعات . . لتتابع تحديقها وتأملها في النجوم بحكمة . .

يا لها من أميرة حقيقية !!

كانت أميرتي ضعيفة تترنح تحت ضربات الريح القارسة ، يا لهذه الغول اللعينة التي تجلد أوراقها فتنتزعها في وحشية ، تاركة دمها الاخضر يتجمد على أطرافها دموعاً بلورية .

وتروح بقسوة عاشق همجي يعري حبيبته بأن يمزق ثيابها قطعة قطعة . . تدس أصابعها الشحية المثلجة المدببة الاظافر تخمشها وتتغلغل في ثناياها في نهم وغلمة فترتجف وتقاوم ببسالة .

ألم أقل لكم انها أميرة حقيقية ؟

أخذت أرقبها بلهفة وهي تبرعم براعمها الأولى ، يا للام الصغيرة العزيزة !! صحيح أنها صارت تبدو متثاقلة تحت تأثير الحمـــل ، ولكن دلالها كان ينتفض في الورق استعلاء وبريقاً وخضرة . . لكم أعبد اللون الاخضر . . هل كان ربي يتعب كثيراً لو خلق لي السماء خضراء ؟ . واصبح صباح واذا بالبراعم تنعقد على حبيبات صغيرة ، والارض تحت الأم الجميلة مفروشة بأشلاء الزهر الذي مات ليعطي الحياة .

في ذلك الصباح ابتسم أبي ابتسامة صغيرة ، ونظر الى عيوننا بهدوء ثم هز رأسه ، كنت في أعماقي اهزج انتصاراً فقد كان أبي يحتقر الليمونة وينعتها بالطفلة المدللة ، وكان يراقب نموها وصراعها لاعتناق الشمس بلا مبالاة تحز في النفس . . لم أفهم أبي . . لماذا لا يحب أميرتي الحلوة ؟ هل يمكن أن يشاهد انسان غدائرها المرسلة ، وأوراقها المشتعلة خضرة ، وزهورهـا التي تقطر العسل ولا يعشقها حتى الموت ؟

كان أبي يقول :

– ان الليمون ضعيف رخو لا يقاوم العاصفة . ويكفي سوط ريح خفيف ليجعل شجرته ترتجف ذعراً . انهـا مسلولة مريضة في حاجـــة دوماً الى من يساعدها ويسندها ، واذا جرحت سوقها جرحاً صغيراً ؛ نزفت منها الحياة قطرة قطرة ، دون أن تفكر يوماً أن تكظم المها وتداوي الجرح وتنتصر . انها تقف دوماً وكأن صاعقة مرعبة توشك أن تنقض عليها ، فترخي اوراقها المرتعشة كأذني حمار ذليل . . واذا ولدت الليمون لم تعرف كيف تمسك به ، ان أطفالها أنفسهم لا يحبونها وحطبها حينما تموت سريع الاشتعال سريع الخمود كعاهرة محترفة . . لا قل لكم الحق يا أولادي أنا لا أثق مطلقاً بالليمون ولكن انظروا الى السنديانة . . أية قوة وأي مضاء !!

وكانت الدموع تترقرق في عيني ، وأنا اسمع أبي وهو يلوك سمعة أميرتي ويمرغها بالتراب . فأخرج عما يتوجب على طفل مثلي من قوانين الاحترام للابوة وانفجر :

– السنديانة ؟ حب هذه العجوز الهرمة المتسلطة على الحديقة الخارجية ما تشاء . هذه العاقر المتوحشة القاسية الدردبيس . . ليأخذني الاله العظيم اذا كنت سقيتها بعد اليوم نقطة واحـدة من الماء . لقد كانت طول عمرها لئيمة الى درجـــة كبيرة ، كانت تملأ جسدنا بالاشواك ، وتضربنا أغصانها بدون لطف على وجوهنا ، حتى لقد اضطررت أن أؤدبها البارحة بكسر خمسة اغصان وقحة من أطرافها . . انها من البلاهة وانعدام الاحساس لدرجة أنني حفرت بالسكين اسمي عليها مرات كثيرة ، دون أن تصدر منها آهة واحدة

انه لمن السهل على الانسان أن يلوك سمعة الاميرات دون أن يترك لهن مجال الدفاع عن انفسهن . لقد جلدتها بقسوة وانت تعرف أنها لا تستطيع الانتقام . . يا للعار . .

وانفلت باكياً من أمامه دون ان أدع له مكاناً للجواب ، بعد الدهشة الكبيرة التي أصابته ، واغلقت علي باب غرفتي دون

أن أجيب على خفق الباب على مرات عديدة .

وأخذت أفكر في وحدتي :

– كم يشبه أبي هذة السنديانة !! وجهه المجعد ، وعيناه العميقتان المتأملتان في برود وتدبر حوادث العالم ، وصبره العجيب على تقلبات الدهر ووخزات الأيام ، دون أن يرى الانسان على وجهه أي تعبير عن الأشياء التي تفور في أعماقه ، وكرهه للضعف والبكاء ، ومبادرته الى اصلاح ما أفسدته المصائب باحتمال ودأب . كل هذا بدا لي وكأنه قد انشق من ضلع السنديانة ، ولم لا يكون كذلك ؟ الم تقل لي أمي أنها وجدتني بين ثنيات الكرمة المعرشة على سطح بيتنا ، والتي لا تنقطع زنابيرها عن قرص العناقيد واسالة دمها ؟ من المؤسف أنني لم اسأل جدتي قبل ان تموت عن المكان الذي وجد فيه أبي وهو صغير ، لابد أنه كان في ضلع السنديانة وما كرهه لاميرتي الا لرقتها وليونتها وخصبها .

في تلك اللحظة نطت قطتي من مكانها على الفراش ووقفت أمامي تهز ذيلها وهي تقوس ظهرها وتتثاءب ، وتكومت في حجري تاركة العنان ليدي تغوص في شعرها وهي تهر في لذة مغمضة عينيها .

– لماذا لا يداعبنا أبي ؟ صحيح أنه يحبنا ويحنو علينا ، ولكنه لم يلامس شعري أبداً ويربت على كتفي كما أفعل أنا مع هذه القطة .. الشيء الوحيد الذي يصنعه ، هو أن يعبس في صرامة كلما تندت عين أي منا بالدموع ، لقد كان يكره الدموع بقوة كأن الاطفال هم رجال كبار وكان يقول :

– يجب أن لا تبكوا .. سيأتي وقت يعتبر فيه بكاء الاطفال عادياً .. أما الآن فهو عيب كبير .. يجب أن تتعودوا على الصبر .

وعندما ماتت والدتي .. وملأنا البيت عويلا وندباً .. كان جالساً في حجرته صامتاً ، وعيناه عكرتان غامضتان تحدقان في الفراغ ، لم تنزل منه دمعة واحده ، هل كان لا يحب أمي حقاً ؟ صحيح أنه لم يتزوج بعدها وظل يقدس ذكراها ، ولكنني لم أغفر له جموده ، والاسبوع الماضي بالذات .. نهر أخي عادل نهراً شديداً لان قطعة من الخشب ثقيلة وقعت فوق رأسه فصرخ متأوها ، فقال له أبي بقسوة :

– لقد أصبحت رجلا .. والرجل الحقيقي لا يتأوه .

وظل يومين لا يكلمه كلمة واحدة حتى كاد أن يمرض .. مسكين ..

يا رب كم اكره هذه السنديانة !!

• •

وعندما اقترب الشتاء ، تدلت ليمونات اميرتي القليلة صفراوات شفافات مليئات بالروعة .. كنت اقضي الاصيل دائماً في تأملها وهي ترقص بفرح مع النسمات الرطبة .. كانت الاميرات الصغيرات يتبادلن غزلاً رقيقاً وعفوياً مع الشمس الغاربة .. وكانت الام تبتسم في سعادة وجذل ، حتى اذا وجدت ان الشمس قد اضرمت في القلوب الصغيرة المتفتحة للنور سعيراً محرقاً ، امتدت اوراق لامعة ندية ، ومسحت على الخدود الناعمة بلطف ثم غطتها من عيني الشمس اللتين تبدوان في بعض الاحيان ابعد ما تكونان عن البراءة .

وتقدم ابي من الاميرة يهزها بلطف وينظر الى السحب في السماء .. ثم قال غامزاً وكأنه يكلم نفسه :

– الشتاء قاس هذه السنة كما اعتقد .. ارجو ان تحتمل الليمونة الصقيع اثناء حملها الاول .. انها تبدو وكأنها توشك ان تقع .

واحسست بكلماته تغوص كالسكين في صدري ، ودمعت عيناي فحاولت ان اخفيها عن والدي الذي كان يتظاهر بأنه ينظر الى ناحية ثانية ، وقلت وانا احاول ان اسيطر على اعصابي :

– انها قوية يا أبي .. انظر الى اوراقها كم هي غضة وفتية وفاتنة .. انظر الى جذورها الشابة كيف تغوص في اعماق التراب .. انظر اليها كيف تطول قامتها يوماً بعد يوم .. انها اميرة حقيقية يا أبي والاميرات لا يسلمن بسهولة .

فقال ابي جازماً :

– اني لا اثق بها ..

– ولكنها ستصمد يا أبي .. ستصمد ولن تدع شيئاً يهزمها انها اميرة جميلة وحصينة انظر كيف ترمش عيونها في عتاب وتحتج على كلماتك !!

فابتعد ابي وهو يقول :

-- ساعدها يا بني ان استطعت .. اربط جذعها بحبل وخصرها بحبل آخر ناحية الجدار ، وكف عن سقيها كل يوم فان التربة تصبح هشة سريعة التفتت امام قرع المطر .

ثم ردد :

-- اني لا اثق بها .. اني لا اثق بالمدللين الذين لا يعرفون كيف يحتفظون بأطفالهم .

وعندما ذهب ابي ركضت الى الليمونة احتضنها واقول :

ـ ستقاومين .. اليس كذلك ياأميرة ؟ اثبتي ان الاميرات ينتصرن على العواصف .. لاتأخذي فكرة حمقاء عن ابي ياصديقة انه حنون رغم جفافه ، واذا صمدت هذه السنة فسيحبك اكثر من السنديانة ، وسآتيك بطير من الذهب اتوجك به واجعله يغني لك كل يوم .

وهزت الأميرة اطرافها تحتضنني وتداعت أوراقها وجهي وابتعدت وأنا ابتهل :

ـ يارب احفظ لي أميرتي .. أنت لاترضى أن يموت هذا البهاء وأن تحتضر هذه النضارة .. لقد قالت لي أمي انك جميل تحب الجمال ، فاحفظ لي هذه الجملة :

وأجابني الله بقطرة من المطر .. لقد بدأ الشتاء

● ● ●

أخذت الريح المجنونة تلطم نوافذ غرفة سهرتنا بقوة عظيمة وتعول اعوالاً مرعباً . ازحت الستائر واخذت احدق في قلب الليل .. كانت اضواء الغرفة تقع ضعيفة على اميرتي .. ودق قلبي بعنف .. لكأن مارداً قوياً جباراً احاط عنقها بيديه القاسيتين وراح يهزها حتى ينتزع منها الحياة نقطة نقطة . وكانت تترنح وتميل بدون نظام ، وليموناتها تتمسك بالاغصان بيأس اما اوراقها فقد اخذت تتطاير وتغيب في الظلام ريشاً اسود فارغاً . وفي الجزع الطري كانت اصابعها اللطيفة تقبض على التراب باستماته .. وانهمرت دموعي واضناني العشق والخوف .

قال ابي وهو يمسك بالملقط ويخرج جمر الزيتون من المدفئة ويرصفه في المنقل وتجاعيد وجهه تزداد عمقاً :

ـ انني لااكره الشتاء ، لانه رغم ظواهره ضعيف مع من اقوى منه .

قال اخي وهو يتدثر بعباءة ابي في عناية :

ـ اما انا فلا اطيقه .. ليخيل لي ان الاشباح تخرج من اوكارها وتروح تلتقط الانس وترعبهم ، بل انها تجرهم معها الى جحورها القذرة .. فلا يستطيع الانسي ان يخرج الى النور مرة اخرى الا وقد اصبح شيطاناً مشبوهاً حقيراً .

فأجاب ابي بتأمل :

ـ ان الاشباح مخلوقات تستحق الرثاء ، وهي لاتستطيع التأثير الا على ضعفاء الناس ممن لايملكون اية قوة سوى الادعاء والغرور .. الشبح مثل الضبع يعرف رجله ، فاذا آنس منه الجرأة والعزم ، انفلت منه هارباً ، اما اذا وجده مخلوع القلب قليل الايمان بنفسه وقوته سحره وبال عليه .

قلت وانا اغالب حزني :

ـ انه لشتاء قاس !! ترى هل تستطيع ليمونتي ان تهزم الاشباح ؟

قال ابي وكأنه لايعير كلماتي التفاتاً :

ـ انتم لم تعرفوا بعدشيئاً عن الثلج والمطر والتجمد والرياح . لقد عشتم طوال الأيام الباردة التي سبقت ضمن هذه الحجرة ، امامكم مدفأة عامرة بحطب الزيتون ، وتحتكم طنافس من الصوف ومتكآت من جلود الغزال .. انا خائف جداً ياأولادي ان يداهمكم الشتاء ذات يوم ، وانتم خارج هذه الحجرة فتقفوا عارين مقرورين امام العاصفة كما تفعل السنديانة في الحديقة الخارجية ، وعند ذلك لايعلم الا الله ماذا ستفعلون .

قلت مذكراً :

ـ وماذا عن الاميرة ياأبي ؟

سكت ابي قليلا وغامت عيناه كأنما ينظر الى شيء وراء الابعاد وتابع دون ان يرد على سؤالي :

ـ عندما ينزل الثلج كبيراً بحجم راحة اليد ...

رفعت الستائر مرة ثانية فرأيت بقعاً بيضاً من تنداح في الهواء وتتراقص في العتمة .. كانت أميرتي قد اختفت تماماً تحت رداء سابع من البياض القاتم فصرخت مقاطعاً :

ـ انه الثلج يا أبي قطع كبيرة بحجم راحة اليد انه غطى .. وخنقتني العبرات

فهمهم ابي في عبوس وهو يسعل :

ـ ليرحمنا الله .. هوذا شتاء قاس آخر .

نظرت اليه طويلا .. ياله من عجوز غريب .. لكأن قوى سحرية تتفجر في اعماقه .. كنت ارتجف ذعراً وانا اتصور الثلج يغمر اميرتي ويقتل فيها حرارة الحياة ، ولكن ابي بدا وكأن اي شيء في العالم غير قادر على ازعاجه .. كان جالساً وراء مدفأته والملقط يتحرك في يده على المنقل في مهارة ملاح يدير الدفة .. ولكن ابي مع ذلك كان يفعل ذلك ببعض الاضطراب . سألني :

ـ هل تقول انه ثلج بحجم راحة اليد ؟

كانت النار تنزلق وراء الخشب الميت وتلفه في تحلق وقد احمرت عيناها شهوة ودماء وقضقض الخشب وانفتح قلبه .. وفجأة تعثر الملقط في يد ابي بطرف المنقل فانقلب الجمر على السجادة الثمينة ، وهرول اخي ليأتي بالرفش الصغير فلم يجده ،

وحاول ابي رفعه بالملقط فتفتت ، وانتشرت رائحة حريق خانقة ، فمد ابي يده ورفع الحجر بين اصابعه فصرخنا بفزع :

– حاذر يديك ياأبي ..

ولكن ابي تابع العملية بسرعة وصبر ، فاركاً يديه بعد كل حجرة واخذت اصيح باكياً :

– ان يديك تحترقان ياابي لقد تفجر الدم منها .

فلم يرد .. لم الحجر كله دون ان تتقلص حتى عضلات وجهه حتى اذا انتهى رفع وجهه الينا وغالب ابتسامة مصطنعة ولهث :

– لاتراعوا .. من يلعب بالنار يتوجب عليه ان يحتمل حرق اصابعه ..

واخرج منديله وفتح كفيه ليربط مكان الحروق . كانتا مسلوختين بشعتين ملطختين بالدم ..

لم احتمل المنظر .. فأغمي علي .

● ● ●

يارب ماأشقاني .. ماتت اميرتي الجميلة ودفنت دون احتفال او كفن لائق من حرير . اخذت تحتضر اياماً طويلات دون ان تساعدها توسلاتي على الحياة .

تساقطت اوراقها الخضر بعد ان اصفرت وجفت وظهرت عروقها .. والليمونات الصفراوات تهادت مشوهة مشقوقة البطن وقد سال دمها على الارض كانت منثورة على الارض مشوهة كجنين مجهض . وبقيت اميرتي عارية كما خلقها الله بشكل مخجل مقرورة كعصفور فاجأته حية فاصبح هيكلاً مجمداً من الرعب .. طلل بال اخذ العنكبوت ينسج عليه خيوطه .. ولم تعد العصافير المعدومة الوفاء تمن عليها بنظرة واحدة .

وذات يوم هوى ابي بفأسه عليها ، فانقصفت بيسر شديد كقطعة يابسة من الشوك .. اخذت اراقبه وانا اشعر بفأسه يحتز شراييني والدموع تنقط في قلبي دامية ملتهبة .. وعندما انتهى من المذبحة ترك اوصالها المقطعة الميتة ومال الي معزياً :

– لاتحزن ياولدي .. انها ضحية مسكينة من ضحايا الشتاء لقد قلت لك من قبل انها عاطفية شديدة النعومة .. اني لاأثق بالليمون .

فأجبته في حقد ونشف :

– وسنديانتك العظيمة ايضاً فطست !! ألم تر كيف جفت وتساقطت اوراقها .. سأقطعها غداً كما قطعت اميرتي ..

قال ابي بضيق :

– لا تؤذ نفسك يابني .. ان حطب السنديان صعب القطع .. وقد تجرح نفسك .

– لقد ماتت واخذ الشيطان روحها .

قال ابي وهو يبتعد مختصراً النقاش ، وقد بدا في صوته رنة قلق حاول ان يخفيها :

–انها معتادة على مقاومة الشتاء والعاصفة . واظن انها ستعيش .. انها سنديانة طيبة .

اخـــذت ارقبها كل يوم .. لم يكن في جذعها الابرش واغصانها الجرداء الجريحة اية بادرة من الحياة !! ولكنها كانت توحي لي دوماً بالكبرياء .. وفي الربيع استيقظت باكراً وركضت اليها .. فرأيت ابي واقفاً وكأنه قطعة منها .. ورفعت نظري الى الاغصان فصعقت .. يا للعجوز المتصابية اللعينه .. انها كالقطط بسبعة ارواح .. ففوق كل غصن كان عود طري أخضر مليء بالزغب والورق الصغير ينتفض ويشرب من ضوء الشمس .

لم يلحظني أبي .. اخذ يربت بحنو ووجد على جذعها ثم استدار نحوي .. وخيل ان دمعتين غبروايين كلون السنديانة تدحرجتا من عينيه الصارمتين فامتصتها سريعاً تجاعيد وجهه كما تمتص الاراضي العطشى صيب السحاب .

دمشق - سعيد حورانية

بتهوفن
السمفونية التاسعة

مقدمة

ان ذروة العمل الموسيقي بالنسبة لمؤلفه قد تكون كذلك ذروة الموسيقى كلها . تلك هي السمفونية التاسعة ذروة بتهوفن والموسيقى معاً .

عزفها بيهتوفن لاول مرة في فيينا عام ١٨٢٤ رغم صممه التام تقريباً . ولكن دويها لم ينفجر في العالم الا عندما عزفها مؤسس الاوركسترا الفلهارمونية لفيينا (نيكولاي) عام (١٨٤٢) . وقد حشد لها (٧٥٠) منشداً و (٤٥٠)عازفاً. وذلك بعد ميـــلاد السمفونية بـ (١٨) عاماً ، اذ أن عمل بيتهوفن قد انتهى منها عام (١٨٢٤) وكان قد بدأ فيها قبل عشرة او اثنتي عشرة عاماً . ومنذ عام ١٨٤٢ وأعظم جوقات العالم تتبارى في اخراجها ، ولا يبرز قائد فذ الا ويحاول ان يعطي قيمته الخاصة من خلال قيمتها المطلقة ، بأن يعزفها ضمن فهمه الذاتي لها .

هذه السمفونية تقف في تاريخ الانتاج الموسيقي عملاقة في كل شيء . فهي أطول سمفونية حتى عصرها ، مايقرب من ساعة أو اكثر بقليل . وهي لعزفها ، بشكلها الحقيقي ،تتطلب مئات العازفين والمنشدين . هذا فضلًا عن عظمة بنائها الموسيقي ، وثروته الفنية الخاصة ، وما احتاج من أقلام ودراسات ابتدأت من التحليل والوصف الخارجي الى البحث الجمالي والتأمل الفلسفي . فمن تعليل ديني لها ، مختلف النظرات في ذاته كذلك ، الى التعليل الفلسفي او الشاعري او الاجتماعي . ومع هذا فان هذه السمفونية تظل تعبر عن كلمة واحدة فقط هي : الفرح !

عاشت هذه السمفونية في حياة بتهوفن الداخلية كمشروع مدة طويلة . حتى أنه ثبت ان بيتهوفن وهو في سن الثالثة والعشرين ، منذ عام ١٧٩٣ ، قد أمل ان يضع الحاناً لقصيدة شلر الرائعة تلك (انشودة الفرح) ، وكذلك فكر بتهوفن منذ عام ١٨٠٧ ان يدخل الجوقة الغنائية الدينية في السمفونية الريفية .

واذا عرفنا ان الفترة التي استغرق بيتهوفن خلالها في عمله الحقيقي لهـــذه السمفونية كانت أخصب مرحلة من حياته الابداعية ، كما أنها أعمق مرحلة من حياته الفاجعية ونضجه الانساني ، أدركنا ان السمفونية التاسعة هي محصلة وجود كامل ، وهي مشروع حياة فنية جبارة . انصبت فيها خلاصة التجربة الفنية والمعاناة الانسانية ، وتشكلت ضمن مذهبية كاملة لوجود فذ خصب ، انقلب بانتاجه ذاك ، هو ذاته من مجرد كائن مافي الحياة الى مبدأ للموسيقى كانتاج فذ خارق ،وللانسانية كنموذج مشع ابداً .

التحليل الموسيقي والجمالي
الحركة الاولى

رغم ان بتهوفن قد اتبع في تأليف هذه السمفونية الشكل الكلاسي المعروف المطابق لنموذج السونات ـ لأن السونات هي الهيكل الاساسي للسمفونية ، أربع حركات ، سريع ، بطيء ، متوسط ، سريع جداً ـ ورغم غنى التوافقات وروح التوازن القياسي العام الذي يخيم عليها ، فان شعوراً آخر تخلفه في نفس المستمع المتذوق، هو مزيج من عدم اليقين والترقب الطويل . يبرهن على ذلك تأخر ظهور الموضوعة الرئيسية في الحركة الاولى ، والتغيرات المستمرة في الوزن والايقاع . ولكن هذا الطابع من عدم اليقين ينحل كله في الحركة الختامية بهذه الروعة من الوضوح والتكامل البنائي والهارموني .

هذا من الوجهة التحليلية الموسيقية ، أما من الوجهة الجمالية فيبدو أن طابع الترقب والانتظار وعدم التبلر انما قد قصده عمداً بتهوفن . فالحركة الاولى كما سنرى تنبىء عن نوع من التلمس غير المحدود ، اشارة الى مطلع المخطط الفلسفي العام للسمفونية . فالسمفونية التاسعة هي ، كما قلنا ، مذهبية موسيقية تعلن عن النظرة الشاملة التي يحملها الفيلسوف نحو الوجود . انها وجود موسيقي . أو ان السمفونية هي في الواقع **اعادة بناء الوجود من مادة موسيقية وبحسب الموقف الكلي**

الفلسفي للمبدع . وان احسن مايعبر عن هذه النوعية من الابداع سمفونيتنا هذه .

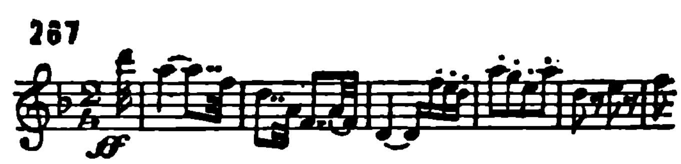
ونحن يمكن ان نلمح اللاتعين هذا ، أو التلمس المضطرب مصاحباً لجميع مراحل خلق العمل السمفوني ، ولكنه لا يلبث حتى يبرز التثبت والوضوح في [1] الحركة الاخيرة المبنية على التوافق السباعي ، او التوافق الكامل (accord parfait) بما يوحي من راحة للأذن وجمال ومن ثقة ووضوح للذهن المتابع .

وهذا يعني أن اللاتعين الذي نشعر به انما هو من صلب النمو الفاجعي للسمفونية . انه ينبىء عن محاولة شاقة للخروج من اللاتعين المطلق ، الذي يبدأ به فكر نسف حدود كل شيء وأرجع تشكلات الموجودات مادية أم معنويه ، الى الاصل السديمي لها ، ليعيد من هناك حركة جديدة أخرى في التشكل والتعين .

ان اللاتعين يبرز من بداية السمفونية . فآلات الكمان الثاني والكمان الكبير (تشيلو) تعزف بشكل اهتزازي رخيم ، خماسية لا ـ مي ، التي تتناولها بدورها آلات الكور . ويلاحظ زوال الثلاثية مما يخلق جواً مبهماً يتراوح بين النغم الكبير والنغم الصغير . ونجد ان الصوتين (مي ، لا) او (لا ، مي) ينفصلان عن بعضهما ، في عزف الكمان الاول ، الآلتو ، والكمان الاكبر ، بينما تجتمع الكلارينيت والاوبوا والمزمار مع الكور . وفي الواقع هذا الابهام الذي يخلقه نواس بين النغمين المتناقضين يوحي بطرفين مطلقين من التجريد الخالص كالوجود الخالص والعدم الخالص ، خاصة وان اللحن الاساسي لم يأخذ بعد حتى اول اشعار ببدايته .

وبعد حوالي ستة عشرة فاصلاً يبرز اللحن الاساسي للحركة وتثبت نوعية الديوان على (ره مينور) . وهو :
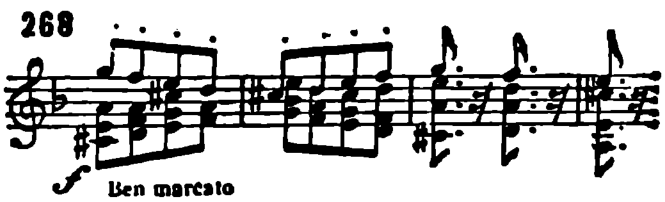
267



لحن جازم ولكن دون تأكيد مطلق . فهو بدء التكون يحمل ارادة نظرية وأملاً مجرداً ، يوحي بفقر موقت . ويكاد يشتق كله من الضربة الاولى (ره) التي سرعان ماتتراخى على صوت (لا) الحنون ، وهو أطول صوت نسبياً في جملة اللحن الاساسي كما يبدو للمرة الاولى . ولنلاحظ ان الحيوية القوية تكاد تجتمع كلها عند الاصوات الثلاثة من ذات السنين في الفاصل الثالث . وهي التي ستنتشر بصورة مضطردة في القسم الاول كله وتلعب دوراً رئيسياً في نمو التركيب السمفوني .

ان هذا العرض اللحني الاساسي يتكرر أولاً في النغم المبدئي (ره مينور) ثم في نغم (سي بيمول ماجور) قبل أن يصل الى ابراز ثلاثة الحان ثانوية . الاول هو (ره مينور) تصحبه مرافقة ذات حركة معاكسة تزيد من حدته . فتشير الى نوع من التحقق القسري كما لو أن الارادة اخذت تعي صورتها السديمية وتجمعها في عنف الخلق لتخرج منها صورة اكثر وضوحاً ولكنها افجع معنى . هذا اللحن ومرافقته المعاكسة هما :

268



اللحن الثانوي الثاني ونغمه (سي بيمول) يظهر خلال ثلاثيات هارمونية شاقة مرهقة :

269



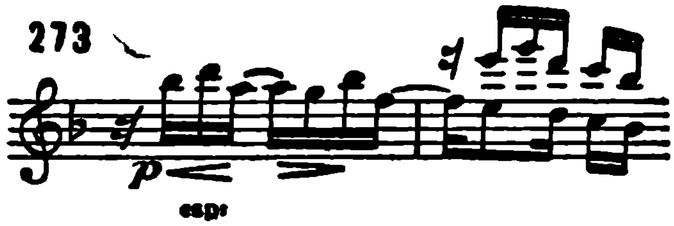
وأما اللحن الثانوي الثالث فتعرضه آلات النفخ الخشبية وتتوزعه بينها دون ان تتعين مفاصله الايقاعية تماماً كما لو ان المؤلف اراد ان يجعله صدى لغيره من الالحان أكثر مما أراد ان يبرز طابعه الشخصي الخاص . ولهذا فقد كانت تقفز فوقه الآلات الوترية دون ان تلمسه تماماً ، ضمن أشكال صاعدة ، وقد أخذت ايقاعها من اللحن الاساسي الاول بعد ان تحول من العرض المنساب الى التقطع الايقاعي ليبقى محتفظاً بعمقية الحركة الاولى كلها .

ويتتابع الالقاء الموسيقي ضمن عناصر مستقلة تتوارد بصور مختلفة من التعبير وتتقاذفها اقسام الاوراكسترا . وتسود هنا حرية تقف في وجه كل تحليل يقوم على القواعد والمفاهيم التقليدية . وهي في الواقع مرحلة تمدد وتراخ لا بد منها بعد النمو المتعاظم المكثف بالالحان الاربعة الاولى . وتتشابك السلالم اللحنية وتتعاكس بين صعود وهبوط ، وكلها مشتقة بحرية مطلقة – اي دون قاعدة معروفة ـ من اللحن الموجه الاول ، وقد اتخذ الان فعالية موجهة لكلية الحركة ، وتتبادل هذه السلالم الاوتار والابواق معاً . ولا يلبث هذا العماء الذي هو اغنى بالمضمون من

(١) راجع معاني المصطلحات الموسيقية في نهاية البحث

المدخل الاول للحركة ، لايلبث ان ينتهي بلحن آمر بات ، يرد عليه مباشرة لحن ناعم رزين ، يرجع اصله الى اللحن الثانوي الثالث .

كل هذا يقود بسرعة الى لحن مليء تضرب تحته الصنوج صدى ايقاعياً : ويعود في اصله الى ذلك اللحن الآمر البات . ورغم ذلك فان ابواق الباص تعزف لحناً موجهاً آخر في قياس زمني معاكس ، يصير في النهاية ، بعد ان تعاضده جميع الات النفخ ، الى التأزم والسيادة حتى تتناوله الاوتار بعنف . ويظهر لحن قاس :



تهدىء من حدته الاوبوا . ويعاكس كذلك بصدى من اللحن الآمر ، الذي يذوب بعد قليل من الحوار الهادىء في العزف المجموعي ونصل الى نتيجة القسم الاول من الحركة الاولى السريعة .

وهكذا يمكن للعرض الاول ان يركز هدفه حول نوع اولي من التعين الذي يشير الى ان عملية التكون آخذة مجراها الدرامي منذ الوهلة الاولى . ولكن الطابع الدرامي مازال خارجياً ، متناولاً كملامح عن بعد ، دون ان تبرز فيه الفعالية الانسانية كعمل مسيطر . ههنا ـ على طريقة هيجل ـ مازالت الطبيعة من جهة والانسان من جهة ، مازلا ضمن مستوى الحس المباشر ، وليس الوعي الذاتي .

ويمضي المؤلف دون ان يكرر هذا القسم الاول على عكس عادته في سمفونياته الثانية السابقة . ونجد كذلك ان عملية التطور النامي قد استحوذت الآن على جميع الالحان السابقة الاساسية واستعانت بها كلها كمادة اولية على عكس السمفونيات الاولى . كما اننا نشعر ان تقيد بتهوفن في مرحلة (اعادة العرض) بحرفية عناصر العرض الاصلي اقل ، ولهذا كان التنوع والاختلاف اخصب مما يلحظ في تلك السمفونيات . وهذا نتيجة في الواقع لتركز سيادة بتهوفن على فنه وتمذهبه الرومانسي الذي طغى على الشكل الكلاسي ، وان كان هذا الشكل مازال قائماً .

في العرض المكرر الذي يلي القسم الاول (وفيه العرض الاول) ، نشعر بأن الموسيقى تترخم وتمكث على عمق ظليل مدة ليست بالقصيرة كظل من النور يطفو على عمق هاوية . تستغرق هذه الفترة ثمانية وثلاثين فاصلاً تتراوح على منخفض طويل من صوت (ره) ، يرجعها تتابع من الصنوج ، لذات الظل . ولنلاحظ ان القسم الاول يبدأ بهذا الانخفاض اللحني (pédale) مما يوهم بنوع من الفجر الضامر (سديم النشوء) . غير ان المردود الشعوري لهذه المماثلة مختلف جداً : في بداية القسم الاول فان الغموض النغمي ، وارتعاش الكمان الثاني والشيلو ، والتصويت البعيد والموشح بالكور ، يعطي انطباعاً من الانتظار الشبيه بالاضطراب والقلق . ولكن هنا فان جريان اللحن على قاعدة متينة هي النغمة الاساسية للسلم ، مع ظلال رهيبة من الصنوج كل ذلك خلال ثمانية وثلاثين فاصلا ، يؤكد على العكس تعيناً وخلاصة كما لو ان الموضوع استنفذ عناصره باطمئنان كبير . وهي نتيجة يمكن ان نحس بها من خلال عمقية آلات الكمان الاكبر وبعض كلمات الغناء الاساسية في الحركة الاخيرة .. كأن هذا العمق هو اللحن النفسي الثابت للسمفونية كلها .

وينتهي العرض المكرر بذيل (coda) مضاعف . فنسمع الى الجزء الثاني من اللحن الاساسي الاول يغنيه الكور الاول بالنغم الكبير ثم دوراً بعد دور ، آلات الاوبوا والاوتار التي تشيع شيئاً من الوضوح البعيد كما لو انه يستحوذ على عزف الاوركسترا كله . غير أن النغم الصغير يظهر ثانية ، وبعد فاصل قصير ، كما لو ان كل الموسيقى توحي باستفهام وتساؤل ، تتبعثر الاوركسترا ، وتتصامم ، وتتراجع الى عمقيتها كأنها تقف لتصمت . ولكن هذا هو بدء الذيل الحقيقي . فتظهر الاوتار وآلات الباص خلال لحن متدرج يعاد سبعة مرات ، ثم تصوت آلات الكور والاوبوا ، بعذوبة منسابة ، لحناً موجهاً آخر كما لو انه الصدى الاخير للحن جنائزي بعيد . ولكن هذا اللحن لايلبث حتى يذكر باللحن الاساسي الاول فتعزفه الاوركسترا كلها وتنتهي فجأة بعزف جمعي قصير للحن الاساسي ذاته .

وهكذا في الحركة الاولى تتحقق بعض الخطوط العريضة في التركيب الفلسفي للسمفونية . انها تعلن عن بدء التشكل بالنسبة للوعي الذي لم ينم بعد مضمونه الروحي تلقاء ذاته . ولذلك كان بتهوفن بين موجة وأخرى من الالحان القوية التي تعبر عن صبوة الارادة للتحقق دون أي نضوج داخلي يؤهلها لذلك ، يطامن من القوة والتشخص ويخفض من الرنين ويجعل الاوركسترا تطفو على هوة مظللة ، كانه يريد ان يؤكد للمستمع الطابع الاساسي لكل بدء وهو السديمية الغائمة ، ورغم ان هناك بعض الالحان الواضحة المعالم ، كما رأينا ، الا أنها لاتلبث هي ذاتها حتى تفقد انسيابها النغمي وتتحول الى نوع من الايقاع المتقطع والضربات التأكيدية الملحاحة ، تؤذن بشيء يولد ، ولكنه مازال جنيناً .

وفي العدد القادم نتابع تحليل بقية الحركات .

« م . ص »

الرؤية العقلية..
في شعر عمر النص..

بقلم

سعد صائب

« فصل من المحاضرة التي القاها الاستاذ سعد صائب في « ندوة الرابطة العائلية بدمشق » في هذا الشهر ، تناول فيها شعر الدكتور عمر النص في ديوانيه « كانت لنا ايام » و « الليل في الدروب » وقد استعرضه من خلال زاويتين بارزتين ، هما المجال النفسي العاطفي ، والمجال الفلسفي التأملي ، فأبرز أثر الحب العف في شعر الشاعر ، كما كشف عن نضجه العقلي ، الذي حداه الى دراسة الكون والحياة ، والتأمل في هذا الوجود الشامل اللا محدود ..

وهذا الفصل المجتزأ من محاضرة الاستاذ صائب يبحث في المجال التأملي أو الرؤية العقلية عند الشاعر ... »

... لقد لاح لنا الشاعر - فيما قدمنا - من خلال مجاله النفسي والعاطفي ، وتسمعنا اليه يتغنى بيأسه ، فأطربتنا غاية الطرب ترجمته الصادقة عن نفسه المكلومة ، التي تجرعت غصص الآلام ، بما ذاقت من الوان الفشل المرير في الحب ، وكيف اصلاها عذابه ، فلم تستطع ان تدفع اذاه ، بل ظلت تنتفض وتهتز ، فكأن الجراح التي خلفها هذا الفشل ، قد حركت شاعرية الشاعر ، فاندلعت اواراً يطيح بأمانيه ، ويقضي على آماله في اتحاده بمن احب .. ولكن هذا الفشل الذي عاناه لم يستطع ان يوقف تيار هذه الشاعرية الخصبة عند حد هذا المجال النفسي والعاطفي ، ولا شل حركة الشاعر المبدعة ، بل دفعه نحو مجال آخر اوسع افقاً ، ونعني المجال الفلسفي ، او رؤيته العقلية التي قادته الى مرحلة التأمل في الحياة وقضاياها ، وفي الوجود ومراميه ، فكانت نتيجة نضج الشاعر العقلي ، وكان لنا منها هذه الومضات الفكرية ، وتلك اللذات الذهنية والتأملية ، التي دلت على نفاذ بصيرته وعبرت عن صفتين يتحلى بها الانسان الفنان وهما صفة العمل وصفة التأمل ، ولعل اروع مايؤكد هاتين الصفتين ويذكيها ويسمو بها ، قصيدته « الليل في الدروب » التي اسمى بها ديوانه الجديد ، والتي بلغت الغاية واوفت على المأمول ، فهي تصور مأساة الانسان المعاصر ، والوحدة التي يجب ان يتحملها راغما ، واخفاقه مهما حاول الاتصال بالآخرين .. كما تحكي حكاية هذا الانسان الذي يجد نفسه وحيداً امام اسوار الحياة واساطيرها ، بلا ماض ولا مستقبل ، يحاول جهده ان يستكنه الغاز هذا الوجود ، وهو ان هذا الليل الذي يحيط به هو بابه الى الحقيقة :

أتعبه الليل ولما يزل
يرقب منه القمر النيرا ...
اي دجى تشهق انفاسه
فتعبر البيد صدى مخبرا
الأزل البكر غفا في دمي
فانكرت عيناي ما انكرا
لا ابد ينجاب به حاضري
ولا غد اشفق ان يعثرا

وحين يبدأ طريقه ، يحس انه مسوق الى حيث لا يعلم ، وان راودت خياله صورة لنعيم موهوم ، يحاول جهده ان يبلغه ، وكلما دنا من هذه الحقيقة الموهومة ، يشعر انه مقبل على تجربة يخافها .

هناك في الغيب ارتمى ناظري
وحدقت في عيون التراب
عثرت بالليل فخلت الدجى
ينبش في الصدر بقايا ارتياب
وقلت للقلب متى تهتدي
فغشت العين ظنون عذاب

الى ان يقول مصوراً نفسه وكل نفس في هذا الوجود الحائر :

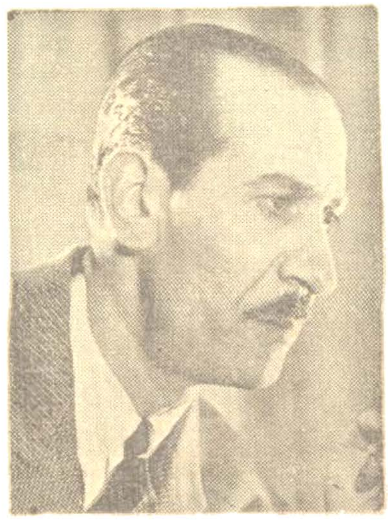
انا الذي هام وراء الرؤى
فعانق الوهم وطال السراب
في طرفي المتعب اسرى غد
واحدقت شهب واغفى عباب

انظر حولي فـأرى قبضــة
هوجـاء تنقض وراء الضبـاب

وكلما اوغـل بي خـاطر
الفيتني اقرب بمـا أهـاب

أسأل من اين ؟ فتثني يـدي
وهوهـة الريح ونوح الشعاب

واغمض الطرف لعـلي أرى
فأبصر الليـل على كل باب



ولكنه في هذا الليل الطويل الذي لا ينجلي ، والذي ذعرت شهبه ، يحس ان دنيا من الحب والتعاطف تكمن وراء هـذا العدم ، كما يحس في قرارة نفسه ان خلف هذه السجف ناراً ، وسماراً لم يهجعوا ، وطفلة تلغو باوهامها :

كلت يدي والشهب مذعورة
يبهت في غبشتهـا موقعي

اقلب الطرف بهـا تـارة
وتـارة أعثر بالادمـع ..

أي لم يغـزل احلامـه
وراء هـذا العـدم المفزع

الى ان يقول :

اني ارى الصيف خلال الحيا
ينسج افواف غـد ممرع

الموقـد الباكي ونار القرى
وسامر في الليـل لم يهجـع

وقصـة عـن شبح زائر
غص بـه الدرب فلم يرجـع

وطفـلة تلغو بأوهامهـا
فتجمع الكون على اصبع

اغمض عيني اذا مابـدت
واسـدل الستر على مطمعي

وانهر الحـلم وفي محجري
شوق الى الغيب ينادي معي

وهو يحس ايضاً انه راغب في امتلاك هذه الدنيا ، طامح الى النفاذ في هذه القلوب فيصرخ :

اريد ان انهب هذا الدجى
فأحمل النجم الى مضجعـي

واكسر الغل .. فيندى الصفا
وينبت الورد على الاذرع

ولكنه يحس مع ذلك بانه بعيد عن هـذا المنال ، وانه واقف في الظلمة يصيخ بسمعه الى نواح الذرى ونذير الريح :

ارهـف أذني فتنـوح الذرى
واسمع الريح تصيح : ارجع !

وحينذاك نراه يؤم الحانة الكبرى .. الحانة التي يفترض في الناس ان يجتمعوا فيهـا ، وان يحيوا احلامهم وحقائقهم :

الحانة الكبرى تراءت لنـا
فأمت الدرب فلول الرقيـق

تشهق في الليـل قناديلهـا
فيبغت الضوء غمـام رقيق

أدفـع في هوتهـا ناظري
فأجتـلي أغوار قبو عتيق

ولكنه ماان يبلغ القبو ، وينظر الى اعينهم خلسة ، حتى تجبهه حقيقة مؤلمة مبعثها أن الناس المتحلقون على الشراب اللاهون ، هم عبيد يعانون علظة القيد وذل العبودية :

الناس في القبو وهذي يـد
تقرع في الغيب سياط البروق

أنظر في اعينهـم خلسة
فأبصر القيد يعض العروق

ويجد ان كل من في الحانة منصرف الى نفسه ، غارق في لذته ، فالناسك المجهد المتعب يبحث وهو مستغرق واجم عن صباه الوريق الذي افتقده :

النـاسك المتعب مستغرق
ينشد في الحان صباه الوريق

والشباب يرددون وهم يغمزون اقداحهم اباطيل عمرها النضر :

وفتيـة تغمز اقداحهـا
فوق اباطيـل شباب أنيق

وهكذا تتكامل التجارب التي يمر بها الشاعر ، فيصور لنا حقيقة يحياها انسان هذا العصر .. انسانه الجديـد . انسان المؤمن بخالقه وبذاته .. انسانه الذي لم يعد يطيق ان يحيا مأساته

لقد ملها .. لأنها تقتل ابداعه ، وتميت بذور المحبة النامية في قلبه .. محبته نحو خالقه .. ومحبته نحو اخوته في الانسانية .. انسانه النازع الى التحرر ، التئق الى الانطلاق .. انسانه الذي يريد ان يصنع سعادته بيديه لابيد الآلة .. انسانه المناضل العنيد المزهو بذاته ، الفخور بقيمه ، المؤمن بقضيته .. انسانه الذي يستثير الآخرين ليحدوا من طغيان هذه الحضارة المادية ، ويكبحوا من جماح مستغليها ، ويحطموا اغلالهم واغلالها .. هذه الحضارة التي خلت من القيم الموضوعيـــة ، وتخلت عن انسانية الانسان ، وحالت دون سيادته وسعادته ..

ولقد كشف لنا الشاعر بفاعليته الغنية ،وعذوبته وسهولته الممتنعة ، وقدرته على خلق الصور الحية عن وقع هذه الحضارة في نفسه ونفوسنا،وحرك فينا نوازع التفاؤل والرضى ، وبعث فينا ايمانه بقيم المستقبل ، ايماناً بها واطمئناناً اليها ..

ونراه يستهل قصيدته البكر « امنا الارض » وهي محاولة في البحث عن الذات ، بصيحة يائسة ، وحقيقة مخيفة :

لم يبق لـــلارض غـــد
فلتــدرك الجرح يـــد

ويصف لنا هذا الانقطاع بين السماء والارض ، وهـــذا الخوف الذي يخامره على اخيه الانسان « هذا الظل المجهد » وعلى قيمه « هذه الهياكل التي تنبحها الريح » ويحس ان العلم « هذا الوثن الذي جن به الناس » والآلة « هذا العبد السيد » يهددان حضارتنا الكبرى ، وقيمنا الروحية . والحياة هذه « الجذوة الكبرى » يخبت ولم تكد تتقد :

الفجر كاب والندى .. مروع .. مهدد
والقـــبة الزرقاء في غربتها ترتعـــد
وفي الدروب قصة تروى ..وظل مجهد!

الى ان يقول :

هياكل تنبحها الريح .. وباب موصد
ومقلة حمراء في الليـــل اطلت تشهد
ووثن جن به الناس .. وعبـــد سيد
وظلمة ان بهـا الصمت فضج الابـــد
وجفت الادمع في العـــين وغم المقصد
وجن في الاروقة الخرس غراب كمد ..
والجذوة الكبرى خبت ولم تكد تتقد

ولكن اليأس بالرغم من كل مايرى الشاعر ومـا يحس ، لايستطيع التغلب على الذكرى الجميلة الحلوة .. ذكرى الحقول والربى والجنائن التي يحلوبها السهد .. ذكرى السروة رفيقة الضفاف وهي تنزل تبترد .. ذكرى الطائر المهاجر الذي يفد مع الربيع .. ذكرى الغيمة الضاحكة التي يسأل عنها المورد .. ذكرى الموعد الذي يحمله الشذى وهو مؤكد مخلد .. ذكرى الشوق الذي يحياه الانسان ويأمله وكأنه غد ممهد .. ذكرى الليالي الحلوة الباسمة التي كان يتبع فيها النجم اذا ما اومأ نجم مجهد .. ذكرى الايام الحوالي التي كان الحلم يعيش فيها ، يوم كان رؤى تضطرد ولا تنقطع .. ذكرى الليل الذي كان يصدعه اذا عسعس او اربد .. ذكرى هاتيك الايام الجميلات الفاتنات التي كان يحس فيها كأن الف كوكب من كواكب لياليها تولد حين يولد . فلنرهف اسماعنا الى الشاعر وهو يرسم لنا بريشته السمحة الحنون ، ذاك الماضي العذب المتلألىء ؛ الذي نحن الى سحره وفتونه ، ونكاد نقصر هوانا عليـــه ، ونغني له وننشد على الحان موسيقاه الشجية العذبة :

كنا وكان الورد في راحتنا يحتشد
كان لنا الحقل الكبير .. والربى .. والوهد
وكان كل فرقـــد يحنو عليه فرقـــد
كان لنا جنائن يحلو بهن السهـــد
وسروة على الضفاف نزلت تبـــترد
وطائر مهـاجر .. مع الربيع يفـــد
وغيمة ضاحكة يسأل عنهـــا المورد
وموعد مع الشذى .. مؤكد .. مخلد
كنا نعيش الشوق .. والشوق غد ممهد
كنا نعيش الحلم .. والحلم رؤى تطرد
ونصدع الليل اذا عسعس ليل اربـــد
كأن الف كوكب تولد حـــين نولد

وهكذا يذكر هذه الاشواق التي كان الانسان يمهد بها لغده واحلامـــه التي تضطرد في رؤاه ، ويحس ان كل مافي الكون من نجوم بعيدة وبحار مزبدة ، وقمح مخضوضر .. ان كل هذا هو مستقبل الانسانية ، وان هذا الظل المجهد ،هو ظل كل انسان منا يســير على الدرب .. وبالرغم مما بدهنا به عصرنا ، فذابت انفسنا ، واوقر ظهورنا .. فثمة ايمان يبسم لنا نستلهم به الصبر على ما كرثنا به هذا العصر ، وهـــذا الايمان الذي هو مشرق أملنا ومعقد رجائنا ، هو ايمان الانسان الذي ما انفك يتجدد في نفسه ، ويحس انه في طريقه الى مستقبل سعيد زاهر يستطيع ان يحمل النار التي حملهـا « بروميثوس » قبله

وان يبذر الحب في كل قلب يلقاه في دربه .. لقد كره ان يحيا مقيداً باغلال العصر ، كما كان « برومثيوس » يكره ان تعيش الانسانية جامدة ، فمضى يبحث عن سر الخلق والابداع فالقاه في النار ، كما مضى انسان شاعرنا في دروب عصره يبحث عن « المحبة » التي تتجدد بها الحياة فتخلق وتبدع :

هذي يدي تحنو على البحر .. فيعلو الزبد
امدها فيورق الصخر ويندى الفـد فد
أنثو من أنملهــا الحلم فيغفو الابــد
واحمل الصبح وزهو الصبح حين يصعد
وخضرة القمـح اذا انهلت غيوم حشد
ولهفة الريح اذا احلولك يم مزبد
وأيكة تسرد في نشوتها ماتســرد

ونرى شاعرنا في قصيدته « ابواب الليل » يتجاوز عالم الحس ليلج عالم النفس فكأنه يدخل تجربة جديدة ، تجربة اجتلاء الذات وادراك كنهها ، ومعرفة التفاعل القائم بين هذه الذات وماهو خارج عنها .. وهو بهذه التجربة انما يذهب مذهب « ديكارت » في شوطه الفلسفي الذي حدده في كتابه « التأملات » بثلاث مراحل هي :

١ ـ السير الى معرفة الذات
٢ ـ الانتقال من معرفة الذات الى معرفة الله
٣ ـ ومن معرفة الله الى معرفة العالم

ولقد سيطرت على الميتافيزيقا الديكارتية ـ كما هو معلوم ـ مشكلة الوصول الى اليقين .. فهي ليست نظرية في وجود النفس والله والعالم فحسب بل هي كذلك اعداد للمعرفة ، وللمعرفة العلمية على وجه الخصوص [١] وهكذا ففي اللحظات التي يخرج فيها الانسان من لاوعيه الكامل ليجوب هذه البقعة الغامضة من عقله الباطن ، وحين ينفض هذا المارد فيغول في اجفانه ، يقف الانسان على ابواب ليل مغلق يحاول ان يدخل هذا العالم المجهول عالم النفس كي يسأل عن ذاته التي يحاول ان يتعرف عليها :

تمر علي الذكريات فأنطوي
أجدد فيها غربة بعد غربـة
أطلت على دنياي فانتفض المدى
وخلت عيون الليل ترقب حيرتي
وأومأت الاضواء وانقض مارد
فغال بأجفاني بقية يقظـــة

(١) راجع التأملات في الفلسفة الاولى لديكارت ص ١٨٩

وصعدت أبصاري أراود نجمة
وأبحث حولي عن طريق قريبة
أدق على ابواب ليل مغلـــق
تئن على زندي وتوهن قبضتي
أصيح بها والذكريات شواخص
فتبرز لي منها عجائز جنـــة

وحين تسمح له عجائز الجن التي ترصد هذا العالم المسحور ، يمر الانسان بهذه المواكب الشتى التي ترقد في اعماقه منذ طفولته الاولى ، يحاول في كل صورة أن يجد بعضاً من نفسه :

يقربن من وجهي السراج فلاأرى
سوى شفة حمراء تنذر مقلتي
عجائز جن ينتحبن فجـــاءة
فأبصر في احداقهن طفولتي

ومايلبث ان يعثر طرفه بهذه الصورة اللابدة في وجوده الخفي ، تخفيه باحداقها المتحجرة ، وبيراعها المتطاير في الليل المدلهم ، وبشكوكها التي تلقاه في زقاق الحمر التي حسب فيها الري والشفاء فاذا بها خاوية فارغة .. وتلقاه في هذه القصور التي بناها ، فاذا بها خواء تزف الريح فوق بروجها ، وتجوس فيها أعين البوم :

ادق فتنهار الـسدود على الثرى
ويدافع الخفاش من كل وجهة
وتخرق استار وتقفر ظـــلة
تمر بها أشباح أرض مريبــــة
مواكب شتى ، تشرئب ظلالها
فيعثر طرفي بالطيوف الملمـــة
يكاد الصدى المخنوق يصرخ في دمي
فتشهق أنفاسي وتوغل نظرتي

الى ان يقول :

وقصر تزف الريح فوق بروجه
وتطرف في أبهائه عين بومـــة
ترحل عنه ساكنوه ولم يزل
يحدث عن اسراره كل نسمة
وأغوار قبو قد تأكله البلى
وبحت على جدرانه الصم صرختي
اقلب فيه العين أطلب نجوة
فأبهت حولي بالجباه الحزينـة

واذ هو يقلب طرفه في اغوار هذا القبو ، طالباً النجاة مما رأى ، اذا بهذه العرافة الشمطاء التي يتقدم منها لتقرأ له مصيره. عمياء قد عصبت زنديها بلجم حية ، ولاكت بشدقيها قلب يمامة ، وحين يمد لها كفه لتقرأ له هذا المصير الغامض الذي يترقبه ، يحس ان الارض بدأت ترجف تحت قدميه ، ويجد نفسه وجهاً لوجه امام هذا السؤال الملح :

من انا ؟ والى اين اسير ؟ واين هذا الحلم الذي تتشوق اليه وتهفو روحي السجينة :

وعرافة شمطاء شاه جبينها
واطفأ عينيها وجوم العشية
تلوك بشدقيها جناح يمامة
وتعصب زنديها بجفرة حية
امد لها كفي فيزعق طائر
وترجف في غور الظلام سكينتي
انا الطارق الليلي علق طرفه
على افق لم يبد بعد لمقلة
ادق على الابواب اسأل من انا
وانفق في الدرب الشحيح فتوتي
افتش عن لاشيء .. عن حلم خالق
تؤرقه اشواق روح سجينة
اذا اختنقت في ناظريه حقيقة
تداعت لها في القلب الف حقيقة ..

وحين يمد يده يستجدي السماء جواباً عن هذا القلق الذي يتملكه ويستحوذ عليه لايسمع ولا يرى الا اجهاشة القمم وراء الغيوم الربد ، والاصلصلة الاغلاق وانقضاض الكواكب والا انين الصدى في بقاع الارض ، والا انغلاق الابواب وامحاء الرؤى ، فيكاد لشدة اعيائه ينكر وقفته التي يقفها امام هذا المجهول .. عندها يصرخ من اعماقه صرخته الاخيرة هاتفاً : من هذا ؟ فلا يعي غير الريح تبكي معولة حزينة في الدروب البعيدة :

واومأت أستجدي السماء فأجهشت
وراء الغيوم الربد ارفع قمة
وصلصلت الاغلاق وانقض كوكب
وان الصدى المخنوق في كل بقعة
وغلقت الابواب وامحت الرؤى
وكدت من الاعياء انكر وقفتي
وناديت : من هذا .. فلم أع فجأة
سوى الريح تبكي في الدروب البعيدة

ويلقى المرأة السكرى التي تبيع الهوى ، وقلبها ينزف مما تطيق .. والعاشق الذي شغل باوهامه عن كل مايحيط به .. والشيخ الذي يدير الحانة وهو يحدج الليل بطرف حنيق .. والشاعر ذاته الذي يخال ان في وسعه ان يطفىء ظمأه ، وهو يعاني هذا الظمأ المحرق :

وامرأة سكرى تبيع الهوى
وقلبها ينزف مما تطيق
وعاشق أشفق مما رأى
فعانق الدن عناق الرفيق
تشرق عيناه باوهامه
فيغمر الكأس بدمع دفيق
يرنو الى شيخ يسد الكوى
ويحدج الليل بطرف حنيق
يسأل : من انت؟ فتفري الدجى
صيحة سكير يغص الرحيق
الظمأ المحرق يكوي فمي
فخلني اشرب مما تريق
أومأت للكأس ابل الحشا
فأجفل الظل وغاض البريق

وبعد ان رأى الشاعر مارأى في هذه الحانة ، وبعد ان احرقه الظمأ ، ود ان يبل حشاه فلم يستطع ، فينصرف مطأطىء الرأس على حين يسمع في قلب الليل نباحاً سحيقاً ، ويبصر وجوهاً خرساً تتزاحم في دربه ، وقد حدجته كدرة احداقها وفي فمها تهدر النقمة :

طأطأت رأسي والدجى عابس
والقبو في الصمت غريق .. غريق
وقلت ماقلت فناح الصدى
وأنت الريح وغم الطريق
وانكفأ الكأس ! فشلت يد
ومزق الليل نباح سحيق ..

الى ان يقول :

الأوجه الخرساء ترتاب بي
فتزحم الدرب الذي اعبر

تحدجني كدرة احداقها
ونقمة في فمها تهدر
ونظرة بكماء .. مقهورة
يلهث فيها الابد الموقر

وهو يشعر ان وجهته التي يبتغيها ، قد حجبها الليل الكافر عن عينيه وهو ماض والاسى واليأس قد بلغا به مبلغهما ، فيعزف عنها ، وينبيء عينيه ان المحشر هنا ؛ وانها يداه التي تدميها الاطواق ، لاتستطيعان شق الغيوب التي ينوء بها قلبه.. ويمضي .. ويمضي وقد تملكه الشك ، وحين ينكشف الستر يهتف فنحس ان الشاعر لم يزل يحمل في قلبه هذا الارتياب من شيء لن يبلغه ابداً :

قافلة ظمأى تجوب الفلا
ويرتوي منها الغد المقفر
أتبعها وحدي ! فأعيا بها
واسأل النجم متى يظهر
أنترك الروح تطيل السرى
في غربة ليس بها معبر
سألتها نهتك استارها
فخلت فيها هوة تفغر
بعثرت دنياي على تربها
ورحت في ظلمتها اغبر
وسرت وحدي .. اتقرى
الدجى واتبع الحلم الذي ينفر
الدرب قد طال ! فخل الرؤى
وقل لعينيك : هنا نحشر
أي يد تدمى بأطواقها
واي احلامي ترى اذكر !
ترنح الكأس وطاش الهوى
وجفت الخمر التي تسكر
واجترأ الدهر على مفرقي
وغالت النجم يد تغدر
واحتضر الليل سوى زفرة
أتركها فوق فمي تجأر
وانكشف الستر وقيل اقترب
ولم أزل انكر ما انكر

وينتهي بنا المطاف مع شاعرنا « الدكتور عمر النص » عند قصيدته « الطريق الى الله » وهي نوع صوفي جديد ، ونحو من انحاء تفكير الشاعر الممزوج بالخيال الخصب ، يستقطب فيها رأيه بأن شعور الانسان مهما طال به الضلال فانه عائد يوما الى ايمانه ، لانه ليس وحده في الوجود .. وهذه القصيدة امتداد لقصيدته « ابواب الليل » من حيث دلالاتها الواضحة على تشرب الشاعر بالتأمل الديكارتي ، وانتقاله معه من معرفة الذات الى معرفة الله ، ثم تجلي حضور الله فينا — كما يقول ديكارت — بما نستشعره من حاجة دائمة الى بلوغ الكمال ! ففي هذا الوجود الذي يجبرنا على ان نحيا ملتصقين في الارض ، عانين بالسلاسل يدفق النور فجأة فتزدهي به البيد ، وتموج سنابل الحقول .. وفي هذا الوجود يحس الانسان انه ليس وحيدا ، وكلما احس بالافق يدلهم ، ينادي السماء ، فاذا بروحه تنطلق في رحلة سماوية بعيدة :

لم اكن وحدي ! ففي الارض عرفت الكبرياءا
ورأيت الافق قد غم .. فناديت السماءا
يالها من رحلة تفتح للريح فضاءا
كلما حدق في الليل رأى درباً مضاءا
اي داع صاح بالكون .. فسال القفر ماءا

ويحس انه يحمل في يديه النار ليهدي بسناها الغرباء عن هذا الكون المثالي الذي يحياه ، فكأنه ربان في بحر لجي يستثيره المجهول ، فيمضي ليقهر البحر ، ويلهو بالاعاصير .. وحين يرنو الى الافق ، تعتاده الخواطر ، ويحس بالبشائر تخضل على صفحات اليم ، وكأن ثمة منارة تومىء اليه من بعيد هاتفة : اني هنا :

القلوع البيض في اليم ! وارض تتراءى
واكف تحمل النار .. وتهدي الغرباءا
قمة ترنو الى الشمس ! فما احلى اللقاءا
وقفت في بهرة التاريخ ترويه عطاءا
وأشارت .. فأطل النجم منه .. فأضاءا
لم اكن وحدي ! ففي الدأماء ربان مغامر
سرحت يمناه فانهلت على الماء الازاهر
قال : ماذا يخبىء الافق ؟ فان النجم غائر
اترى لي في الغد المجهول ايام زواهر
انا ماض اقهر البحر .. والهو بالأعاصر
في يدي مفتاح ابهاء من الدر بواهر ..

ورنا يستطلع الافق .. فعادته الخواطر
وانجلى الحلم لعينيه وهز القلع طائر
وتراءى النجم .. واخضلت على اليم البشائر
فاذا البحر اهازيج .. ونخل .. ومنائر !

وفي ليالي التيه .. في ليالي الشوق الى المجهول تصعد كلمة « رباه » لتثير في بيدائه ارواحاً غريبة تمر به عابرة الى مداها الأوسع :

لم اكن وحدي ! ففي البيداء أرواح غريبه
أيقظتها دفقة النور على الارض الكئيبه
أي ناي في السهوب السمر قد مد نحيبه
الفضاء المتعب الموهون لم يخف شحوبه
والمصابيح على الدرب أساطير رهيبة
أيها التائه في الليل ! ألم تدرك غيوبه
في دمي شوق الى المجهول لم أسل دبيبه
فرغ الكأس وهذا القلب لم يطفىء لهيبه
صاح : رباه ! فخلت الليل يأبى ان يجيبه
وتراءت من وراء الافق اشباح غريبه

ويحس في النهاية انه لم يكن وحـــده ، فهو كل شيء في هذا الوجود ..

هو في الموج وفي النجوم المحبة .. هو في القوافل التي تهفو الى رشة سحب .. هو في الصدى حين يشهق في الليل ويطوي السهوب .. هو في الزنابق البيض ، هو في الهوى الذي يجرح العيون ...

ان احساسه ينبئه انه كل شيء .. وان دربه يبدأ من هذا الليل الطويل .. درب يقوده لامتلاك الوجود ..

وكيف يكون وحده ، وهو مؤمن مطمئن واثق ، بان عين الله التي لاتغفو ترعاه ، ولاتبارح قلبه :

لم اكن وحدي ! فهذا الحلم قد قبل هدبي
انا في الموج وراء الموج ! في النجم المحب
انا في قافــلة تهفو الى رشة سحب
في الصدى يشهق في الليل ويطوي ألف سهب
في ندى زنبقة بيضاء .. في رعشة عشب
في انتظار اللمحة البكر التي تهتك حجبي
في الهوى يجرح عيني .. ويندى منه تربي !
أيها الليل على الدرب ! هنا يبدأ دربي
انا ماض أفتح الكون فمن لمح قربي
أأنا وحدي ؟ وعين الله لاتبرح قلبي

دمشق سعد صائب

نظرة في الشعر الحديث

بقلم

احمد سليمان الاحمد

لأزال اذكر ان نقاشاثار بين بعض شعرائنا زعم فيه كل منهم انه اول من كتب هذا اللون من الشعر الحديث الذي طغى اليوم على مجلاتنا وصحفنا واصبح يؤلف شيئاً منها لا ينفصل عنها ولا تتخلى عنه كما يبدو، ولا بأس مطلقاً في كل ذلك.

والحق ان الشعراء المتناقشين كانوا ينظرون الى الموضوع نظرة سطحية ، ضيقة ، تدور حول رواسب « جاهلية » همها ان تجأر بملء صوتها : انا الاول .. انا الاول ..

لقد اصبح من الواجب ان نعرف شيئاً عن ماهية هـذا الشعر الحديث الذي اخـذ يتصدى لنا أينما أنعمنا النظر في مطالعاتنا ، اصبح من الواجب ان نحاول ايجاد قواعد له ،وان لم يكن فلا اقل من التعارف على شأن هذا الغريب الذي صنع ضجة في اوساطنا الادبية أين منها ضجة اللاذقية في عهد فيلسوفنا الشاعر .

قبل كل شيء لابد من تجاوز ادعاءات السبق والابداع التي تطوع بعض الشعراء بخلعها على انفسهم ، فهذا الشعر الذي وصل الينا نتيجة تطور ، ونتيجة تجارب طويلة ، ما كان لنا ان نهتدي الى ربه الواحد الذي قال كن فكان . . ولذلك فمن الثابت لدينا ان كثيرين ــ قبل اصحاب الادعاءات ــ قد كتبوا في الشعر الحديث ، ومن الثابت عندي ايضاً اننا لن نتوصل الى كشف الحجب عن قدس اقداس الصانع الاول ، لانه هـذا التطور القادر الخفي .

ولكن لاشك بأن للشعر الحديث رواداً . .

ولا شك ان للرائد اخطاء ، واخطاء كبيرة في كثير من الحالات ، وقد تغتفر له مثل هذه الهنات ، هينات كن ام غير هينات ، ولكن هذا الرائد كلما اوغل في الطريق العذراء ، واكتسب تجارب مثقلة ، واصبحت قدمه تطأ ارضاً صامدة ، اخذت طبيعة الغفران تضعف في النفوس وتحل محلها طبيعة المحاسبة ، وطبيعة المحاسبة هذه لابد منها مطلقاً ،فهي ضرورية للشاعر وللرائد كضرورة الهواء والماء على حـد التعبير الكلاسيكي المسرع الى الشفاه . ولولا هذه الطبيعة الضرورية لما أمنا على الشاعر وعلى الرائد من ان يضلا ، وان يتعثرا ، ومن أن يسقطا ، فتقوم على أنقاضها طبيعة ثالثة ظالمة مرة المذاق هي طبيعة الهزء والتجريح !

ولابد من الاشارة الى ان النقد قد ضاع بين فريقين من الناس احدهما يقف امام القصيدة فلا ينظر اليها الا بعين البيان والعروض والصرف والنحو ، فهـذا سبك متين ، وهنا استعارة ، وهنالك طباق اوغثـة زحاف ، ولاعيب في القصيدة مادامت الضمة والكسرة والفتحة قدسلمت من عدوان القلم الضعيف الشارد . .

وثاني الفريقين بينه وبين كل ذلك سد يأجوج ومأجوج . فهو مشغول بدراسة التجربة التي أوحت بها القصيدة ، فاذا اهتدى الى تجربة خلع على القصيدة لقب خالدة أو تافهة حسب انطباقها على تجربته الشهيرة وكان الله يحب المحسنين !

أما الذين اقاموا من نفوسهم أبواقاً مأجورة فندعهم في عبوديتهم يبوقون ! ونجعلهم من المنظرين !

والنقد غير هذا ، بالطبع ، والشعر كذلك ! ولنا ثقة في الزبد يذهب جفاء ، ويبقى ما ينفع الناس ، والشعر الطيب ينفع ، وكذلك النقد الطيب !

ومن بعد .. فما الشعر الحديث ؟!

الشعر الحديث من حيث الشكل يأخذ بالمبدأ القائل :

● اللاقاعدة هي القاعدة ، فهو يأتي الى اوزان الخليل ، فيجتزىء منها بالتفعيلة يعيدها دون ضابط ــ . فاذا اخذنا وزن المتقارب مثلاً وجدنا القاعدة الخليلية (وما هي الا قاعدة الشعر العربي الكلاسيكي) تكرر فعولن اربع مرات في الشطر الاول ، ومثلها في الشطر الثاني او مرتين في الاول ومرتين في الثاني وهكذا .. محافظة دوماً على التوازي . ولكن اللا قاعدة التي هي قاعدتنا في طريقنا الحديثة تقضي بأن لانوازي بين الشطرين ، شريطة ان يظل ، في اعتقادي ، هناك انسياق في النغمة الموسيقية تألفها الاذن وترضاها وترتاح اليهـا شيئاً غير يسير .

في الطريقة الحديثة اذا اجتنا للوزن ذي التفعيلة « فعولن » كان لنا أن نؤلف الشطر الاول من تفعيلة واحدة ، والشطر الثاني من خمس تفعيلات دفعة واحدة ، فثلاث فأربع فست وهكذا دون ان تكون هناك قاعدة تنظم لنا التسلسل .

وفي الطريقة الحديثة ، من حيث الشكل أيضاً ودوماً ، تختفي القافية الواحدة الرتيبة ، وتحل محلها قواف متنوعة وقد يغالي البعض فيستغني نهائياً عن القافية ، وهذا الاستغناء لا اقره انا على الاقل ، بحال من الاحوال ، لأن للقافية جرساً شعرياً لانستطيع ان نتحلل منه ، واعتقد ان المزاوجة في القافية شيء سهل لايضير مطلقا او يعوق انـــدفاع تجربة الشاعر الهام ! والاستغناء عن القافية الرتيبة الواحدة ، وتنويع التفعيلات جاء به الأندلسيون ولكنهم وضعوا له قواعد ايضاً :

الى جانب هذا التيسير ، هذا التساهل في الطريقة الحديثة يقوم واجب امام الشعراء الجدد .. تفرض عليهم ضريبة هي ان يعرفوا كيف يختارون الموضوع وآلة التعبير في الموضوع وطريقة معالجته ، فاذا اجزنا لشاعر يكتب قصيدة من سبعين بيتاً على الوزن الطويل ان يجيء ببعض التعابير العادية ، وببعض القوالب التي شبهتها في غير مرة ، وفي غير موضوع ، بالاحذية المنتصبة على مدخل الحميدية ، اذا كان كل هذا او شيء منه ، ثم لم نلح كثيراً على تنبيه الشاعر لذلك ، فليس من المستملح حكماً ، ان يجيء بها شاعر جديد يكتب ثلاثين كلمة ، تنقص قليلاً ، او تزيد قليلاً ، هي قصيدة برمتها !

اذاً فهذه قصة الشعر الحديث ، كما فهمتها ، من حيث الشكل من حيث الهيكل والبناء والصنعة ، اما هذا الذي يغتر به الذين لايقيمون تلاوة بيت من الشعر ، اما هذا الشيء فقد الوزن والقافية واللفظة الشعرية فليقولوا عنه ماشاءوا فالشعر منه براء !

امامن حيث الموضوع فلا شك ان الشعر الحديث قدآمن بالوحدة في القصيدة ، وليس معنى هذا ان الوزن الخليلي لا يساعد على هذه الوحدة ، ابداً لا ! ولكن الشكل الجديد أقدر على ابراز هـــذه الوحدة ! وليس معنى هذا انها الوحدة في القصيدة معناها ان تصبح القصيدة موضوع انشاء ، مؤلفاً من المقدمة فالجسم فالخاتمة !

وليست الوحدة في القصيدة هي كل شيء اضيف الى مضمون القصيدة الجديدة ، فهناك نوعية الموضوع نفسها ، فشعر الحب والنضال ومايتشعب من دوحتها قل حل محل المدح والرثاء والنسيب التقليدية ! الحب اكتسب انسانية جديدة ، ولذة جديدة ، والنضال اصبح شيئاً غير العدوان وغير الجهل فوق جهـــل الجاهلين ! توضحت مفاهيم الحرية والاستقلال والكرامة الانسانية ، وتكشفت القيم في اسمى مظاهرها ومضامينها ! حتى الكلمة اكتسبت معنى جديداً وروحية جديدة !

ولا افكر مطلقاً أن شعرنا الحديث قد تأثر في شكله وموضوعه بملامح وومضات من الشعر الاجنبي ، واتكأ على الآندلسيين في ثورته على القوافي ، ولكن كل هذا لايستطيع ان يخفي كون شعرنا الحديث قد تأثر بمحيطه ، قد نبع من الواقع الذي نعيش فيه ، ونناضل ، وقد امتدت افياؤه الى المستقبل . لقد استطاع شعرنا الحديث ان يصل البرهة التي نحياها بالمستقبل الذي نطمح اليه . لقد استطاع ان يرسم هذا المستقبل !

أنا احب لهذه الاشكال الجديدة التي اخذنا نكتب بها ان تنتصر .. ان تحيا .. فهي شيء ينسجم مع تقاليـدنا ومع التطور ولكن واجبنا ان نبدع ، ان نضع شيئاً يستطيع ان يقول للأشعار الكلاسيكية : انا أطاولك ان ذهبت بك الجاهلية الى طلب المطاولة !

أخوف ماأخافه ان ينطلق شعرنا من طفولته الى الشيخوخة دفعة واحدة ، دون ان يمر في طور الرجولة والشباب والكمال !

ان اعداءنا النثرية ، النثرية في الجملة ، في التعبير وفي النغم هذه النثرية التي تصك السمع وتعكر المزاج !.

ان اعداءنا استسهال هذا اللون ، واقتحام الادعياء الخائرين هذا الميدان ، مصحوبين بجوقة كاملة من آلات الدعاية .

ان اعداءنا عدم دراسة الادب العربي القديم ، عدم التمكن من اللغة ، فبعض « شعرائنا الافذاذ » ممن اخذوا من الشهرة بنصيب كبير في بعض الاوساط لم يسمعوا طوال حياتهم بشيء اسمه موسيقية الشعر ، وقدهتفوا باللغة : هذا فراق بيني وبينك ! أخطاء من كل جنس ولون لايقع فيها طالب الابتدائية .

ان اعداءنا هذه التعابير والصور التي نأخذها من الشعر العالمي ثم نضعها في مفكرة شعرية ، ثم نستدعيها عند اللزوم وعند غير اللزوم .. ونعد لها جيشاً من واوات العطف يجمع شملها ! وما دام الوزن غير ذي بال ، واللغة غير ذات موضوع ، فما اسهل صنع نشيد .

ان اعداءنا ايضاً في مهمتنا هو ضيق الافق ، افق الافكار وافق التعابير ! فقد اصبحت موضوعاتنـــا تتردد بأفكارها والفاظها ذاتها .

البقية على الصفحة « ٤٩ »

شكاية

لارغن البربرية الحديثة

للشاعر الفرنسي لويس اراغون

•

هؤلاء الذين وقفوا وراء السدود
عادوا في كبد الظهيرة
موتى من التعب قد جنوا من الغضب
عادوا في كبد الظهيرة
النساء قد انحنين تحت حملهن
والرجال يشبهون الملاعين
النساء قد انحنين تحت حملهن
يبكين اللعب الضائعة
واطفالهن قد فتحوا عيونهم الواسعة
يبكون لعبهم الضائعة
الاطفال يرون دون ان يفهموا
آفاقهم التي اسيء حمايتها
الاطفال يرون دون ان يفهموا
المدفع الرشاش على تقاطع الطرق
وحانوت البقالية الكبير أصبح رماداً
المدفع الرشاش على تقاطع الطرق
الجنود يتكلمون بصوت خفيض
والكولونيل يقف في فنـاء
الجنود يتكلمون بصوت خفيض
يحصون جرحاهم وموتاهم
وفي مدرسة في احد الفصول
يحصون جرحاهم وموتاهم
وعودهم مـاذا تقول
ياصـــديقتي يا اشجاني
وعودهم ماذا تقول
انهم ينامون مع صورهم
السماء تبعث من اجل البلابل

•

انهم ينامون مع صورهم
على محفات من قماش اغبر
سوف يدفنون قريباً
على محفات من قماش اغبر
يحملون الشباب
البطن مضرجة والجلد اربد
يحملون الشبـــاب
ولكن من يدري جدوى هذا
سيموتون دعهم ايها الجندي
ولكن من يدري جدوى هذا
اذا جاءوا الى (سان أومير)
ماذا سيجدون بيننا
اذا جاءوا الى (سان اومير)
سيجدون العدو
دباباته تفصلنا عن البحر
سيجدون العدو
يقولون انهم استولوا على (ايفيل)
فلنتحمل خطايانا
يقولون انهم استولوا على (ايفيل)
هكذا يقول رجال المدفعية
وهم يرون المدنيين يمرون
هكذا يقول رجال المدفعية
اشبه بالظلال المصبوغة
العيون هنا والرأس هناك
اشبه بالظلال المصبوغة
اذا رآهم عابر طريق فجأة
يضحك بوحشية لشكاياهم

ترجمة
عبدالوهاب البياتي

اذا رآهم عابر طريق فجأة

كانت الدنيا سوداء كالالغام

كانت الدنيا سوداء كالحياة

كانت الدنيا سوداء كالالغام

هذا العملاق الذي يعود الى بيته

في (مريكور) أو (سالومين)

هذا العملاق الذي يعود الى بيته

سيصرخ فيهم لا يهمنا . سوف يعودون

ولو كانت هي القنابل او المطر

سيصرخ فيهم لا يهمنا سوف يعودون

الافضل مائة مرة أن يمزق الانسان في بيته

برصاصة او اثنتين في البطن

الافضل مائة مرة ان يمزق الانسان في بيته

من ان يذهب الى ارض غريبه

الافضل الموت حينما تعيشون

من ان يذهب الى أرض غريبة

سنعود سنعود

القلب مثقل والفكر نشط

سنعود سنعود

بلا دموع ، بلا أمل ، بلا سلاح

نحن الذين أردنا الرحيل ولكن كلا

بلا دموع ، بلا امل ، بلا سلاح

هؤلاء الذين يحيون هناك في سلام

هرعوا الينا برجالهم المسلحين

هؤلاء الذين يحيون هناك في سلام

اعادونا تحت القنابل

قالوا لنا لن يمروا

اعادونا تحت القنابل

حسناً لقد عدنا هنا

لاحاجة لأن نحفر قبورنا

حسناً لقد عدنا هنا

مع اطفالنا ونسائنا

لاحاجة لأن نقول شكراً

مع اطفالهم ونسائهم

(سان كريستوف) قديس الطريق الكبير

لقد رحلوا من جانب اللهب

سان كريستوف قديس الطريق الكبير

العمالقة . الذين كانوا يتجسدون

حتى بلا عصا في اليد

العمالقة الذين كانوا يتجسدون

على سماء ابيضت من الغضب

نظرة في الشعر الحديث

بقية ما نشر على الصفحة « ٤٦ »

ان أعداءنا السطحية والتجربة الضحلة .. وعدم الأخذ من الثقافة بنصيب ، عدم دراسة تراثنا الشعري خاصة ، وتراث غيرنا من الامم دراسة عميقة واعية تعرف كيف تتمثل
ولاشك أن لنا اعداء غير هؤلاء !
ولكن الذي لاشك فيه ان لنا أنصاراً !
أنصارنا هذه الحياة الجديدة ..
انصارنا هذه الحياة الجديدة التي تنتصر في كياننا .
انصارنا هذه النظرة الجديدة الى الوجود .
انصارنا هذا الانسان بالكنوز الرائعة التي تكمن في اعماقه .
كلمة اخيرة .
المجد للشعر الكلاسيكي العظيم الخالد ، ان لنا منه تراث فكر وموسيقى .
والمجد لشعرنا الجديد ، في انتصاراته على اعدائــــه ! في انتصاراته التي نريدها رائعة .. عظيمة .. خالدة .

دمشق — احمد سليمان الاحمد

التشريع التعاوني في الجمهورية العربية المتحدة

بقلم

الدكتور عدنان شومان

التعاون نظام اقتصادي واجتماعي يقوم على اسس المعونة المتبادلة ويعمل على تحسين احوال الافراد الاقتصادية والاجتماعية من طريق اشتراكهم الاختياري وتعاونهم الحر .

ليس هذا النظام قريب العهد فقد مضى على ظهور الحركة التعاونية بمعناها الحديث مايزيد عن قرن من الزمن ، انتشرت خلاله في اغلب دول القارات الخمس . وقد اثبتت التجارب على ان هذا النظام يصلح لجميع الاوساط والبيئات . وقد طبق في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية . فبعد المحاملات المثالية التي قام بها عدد من مفكري القرن التاسع عشر . في فرنسا وانكلترا لايجاد نظام جديد . للجميع ظهرت النزعات المثالية والخيالية لتنظيم المجتمع ضمن مجموعات تعيش حياة مشتركة .

وبعد فشل تلك المحاولات التي قام بها روبرت اودن في نيو لانارك (انكلترا) وفي نيو هارموني اتديانا (الولايات المتحدة) قامت جماعة من عمال مناجم الفحم في قرية روتشديل (انكلترا) في عام ١٨٤٤ فوضعوا الاسس العملية الاولى لمبادىء التعاون الحديث والفوا اول جمعية تعاونية استهلاكية تسير وفق مبادىء وقواعد مرسومة . وكان لنجاح تجربة روتشديل اثراً بالغاً في تطور الفكرة التعاونية اذ بعد عام ١٨٤٤ ابتدأت الحركة التعاونية في الانتشار في انكلترا وبقية اجزاء اوروبا ثم عمت العالم اجمع

كانت الشعوب دوماً تسبق الحكومات في تأليف الجمعيات التعاونية والاستفادة في النظم والقواعد التعاونية في اعمالهم لان الحركة التعاونية من اساسها حركة شعبية وبعد ان تنتشر التعاونيات تأتي الدولة فتضع لها بعض التشاريع لمساعدتها على النمو والتكاثر .

غير ان بعض المطلعين قد لاحظوا تعذر انتشار الحركة التعاونية في بعض البلاد التي اعتاد اهلها على النزعة الفردية الا اذا تبنت الحكومة المشروع واشرفت على تطبيقه لهذا فقد بقيت الحركة التعاونية مجهولة تقريباً في الوطن العربي حتى قامت الدولة فنبهت الاذهان الى فوائدها وعملت على انتشارها واصدرت التشريع اللازم للحركة التعاونية .

تطور التشريع التعاوني في الاقليم المصري

يرجع تاريخ التشريع التعاوني في الاقليم المصري الى عام ١٩١٤ حين وضع اول مشروع لقانون التعاون احيل الى لجنة خاصة لدراسته برئاسة سعد زغلول غير ان الحرب العالمية الاولى عطلت كل تشريع في ذلك الوقت فبقي المشروع في مصنفات اللجنة . ولم يبعث المشروع من جديد الا في عام ١٩٢٣ . وقد تم خلال المدة التي ظهر فيها اهتمام الحكومة باصدار قانون للتعاون انشاء بعض الجمعيات لم تعمر طويلاً ولم يبق منها سوى تلك الجمعيات التي اسسها المرحوم عمر لطفي ابو التعاون في الاقليم المصري .

بعد الحرب العالمية الاولى ظهرت في الاقليم المصري نزعتان تقول الاولى بضرورة عدم تدخل الدولة في امور الافراد ، وان الحركة التعاونية هي حركة شعبية محضة ينظمها الافراد ويمولونها ويديرونها دون تدخل الدولة في شؤونها . اما النزعة الثانية فكانت تقول بضرورة تدخل الدولة لمعونة الحركة التعاونية على النهوض والانتشار وقد اعتمد اصحاب هذه النزعة على تجارب بعض الدول الاخرى في هذا المضمار .

وكان ان تغلب اصحاب النزعة الثانية ،على ان تقوم الدولة بتقديم المعونة المادية والادبية وشرط ان يتضاءل دور الدولة بينما تزداد شيئاً فشيئاً مسؤولية الشعب الى ان يأتي الوقت الذي تصبح فيه الحركة التعانية حركة شعبية من الوجهتين النظرية والعملية .

وبنتيجة ذلك ظهر القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٣ وهو اول

قانون للتعاون الزراعي في الاقليم المصري . وقد نص ذلك القانون في مادته الاولى بانه « تعد شركات تعاون زراعية مصرية الشركات المؤلفة من زراعيين مصريين والتي يقصد من تكوينها السهر على ما للشركات من مصالح زراعية وتحقيقها بالوسائل القائمة على مبدأ التعاون » .

وقد اسس في وزارة الزراعة قسم التسجيل والتفتيش على شركات التعاون الزراعيـة ونشر روح التعاون وحركته بين المزارعين .

ومن الملاحظ بان القانون المذكور قد انتصر على التعاونيات الزراعية كما انه قد اطلق على الجمعيات التعاونية شركات التعاون الزراعية - برغم ذلك فقد ساعد التعاون على انتشار التعاونيات في الريف المصري ولم يأت عام ١٩٣٥ حتى كان في الاقليم المصري ٢٣٥ تعاونية زراعية .

لم يكن قانون ١٩٢٣ كافياً لانه لم يساعد على تأسيس جمعيات تعاونية غير زراعية بالرغم من ظهور الحاجة الى نوع آخر من التعاونيات لجمعيات التعاون الاستهلاكية مثلا . ففي عام ١٩٢٧ الفت لجنة من المختصين لدراسة امكانيـة توسيع التشريع لانواع مختلفة من الجمعيات التعاونية .

فصدر القانون رقم ٢٣ لعام ١٩٢٧ فعمم احكامه واصبح من الممكن تأسيس انواع جديدة من الجمعيات التعاونيـة كما عدل القانون لفظة شركة فاستبدلها بلفظة جمعية ونظم القانون كذلك تمويل الجمعيات التعاونية فاعتمدت الحكومة مبلغ ٣٥٠ الف جنيه في بنك مصر وخصصته للقروض التعاونية . وفي عام ١٩٣١ انشىء بنك التسليف الزراعي وعهدت اليه الحكومة باقراض الجمعيات التعاونية الزراعية .

بعد صدور قانون ١٩٢٧ انشىء قسم للتعاون في وزارة الزراعة وكذلك اربعة تفاتيش (مصالح) في الجيزة والزقازيق وطنطا واسيوط للاشراف على الجمعيات التعاونية .

وفي عام ١٩٣٦ قرر ان تشرف على امور التعاون وزارة المالية وقد جاء في مبررات هذا التدبير ، بانه لما كانت الحركة التعاونية تتناول مصالح الاهالي الاقتصادية سواء كانوا زراعاً او صناعاً او مستهلكين فان انسب الجهات التي يجب ان تشرف على الحركة التعاونية هي وزارة المالية .

فنقل قسم التعاون الى وزارة المالية في ٩ يناير ١٩٣٧ وظل هذا القسم تابعاً لوزارة الماليـة حتى انشأت وزارة الشؤون الاجتماعية في (آب) سنة ١٩٣٩ فالحق قسم التعاون بها الذي وسع وتحول الى ادارة عامة .

لقد ساعد قانون عام ١٩٢٧ على انتشار الحركة التعاونية غير ان فترة الحرب العالمية الثانية خلقت عدداً من الصعوبات بوجه الحركة التعاونية ، اهمها الازمات السياسية والماليـة التي مرت على البلاد ، وصعوبة الحركة التعاونية ، وعدم وجود بنك تعاوني ، وكذلك قصور التوجيه الحكومي ، اذ ازداد عدد الجمعيات زيادة كبرى ولم يصاحب ذلك توسيع جهاز الحكومة المشرف على امور تلك الجمعيات ومساعدتها في حل مشاكلها .

ففي عام ١٩٢٧ كان في الاقليم المصري ١٤٧ جمعية تعاونية فبلغ عدد الجمعيات في عام ١٩٣٩ مايقارب ٧٩٣ جمعيـة في تعاونية وارتفع هـذا العدد الى ١٩٢٣ جمعية في اواخر سني الحرب الثانية . مع العلم بان عدد موظفي قسم التعاون بقي عبارة عن دائرة مركزية واربعة تفاتيش (مصالح) منذ عام ١٩٢٨ .

وفي عام ١٩٤٤ كانت الحاجة ماسة الى تعديل التشريع التعاوني ليستطيع مجابهـة المشاكل الجديدة لتوسع الحركة التعاونية وانتشارها فصدر القانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٤٤ بشأن الجمعيات التعاونية متمشياً مع حاجة البلاد الى انواع جديدة من التعاونيات ، ظهرت الحاجة اليها بسبب نشوب الحرب ، وهي جمعيات التعاون المنزلية ، التي هدفها مكافحة موجة الغلاء وتأمين المواد الغذائية للمواطنين .

وقد نص القانون الجديد على انشاء مجلس استشاري اعلى للتعاون واتحادات تعاونية كما وسع من احكامه بحيث يمكن الاهالي من تأسيس انواع جديدة من التعاونيات كما عدل نظام بنك التسليف الزراعي فأصبح بنك التسليف الزراعي والتعاوني وصار هو ممول الجمعيات التعاونية الاكبر . وكذلك توسع جهاز ادارة التعاون في وزارة الشؤون الاجتماعية بحيث يمكن معه مسايرة تطور الحركة التعاونية في البلاد .

بالاضافة الى الجمعيات التعاونيـة المنزلية انشئت جمعيات تعاونية لتسويق المحاصيـل ، ولحفر واستغلال آبار البترول وانشاء عيادات طبية وجمعيات تعاونية للاتجار بالجملة Society وكذلك جمعيات تعاونية لبناء المساكن ولمستأجري الاراضي الزراعية وجمعيات تعاونية عمالية وجمعيات تعاونية للصناعات الزراعية وجمعيات تعاونية لانشاء دور العلم وجمعيات تعاونية لطلبة المدارس وجمعيات تعاونية لنقل الركاب . وغيرها .

وفي عام ١٩٥٤ بلغ عدد الجمعيات في الاقليم المصري ٢٣٠٥

جمعية تعاونيـة تضم (٧٤٦٨٣٦) عضواً وبلغت قيمة مجموع ماقدمته من خدمات ٢٢ مليونا من الجنيهات في ذلك العام . والجدول الآتي يبين عدد كل نوع من انواع الجمعيات التعاونية في عام ١٩٥٤ .

نوع الجمعية	عددها
جمعيات زراعية	١٧٩٤
جمعيات تعاون منزلي	٣٤٢
جمعيات بناء مساكن	٤٨
جمعيات اصلاح زراعي	٥٩
جمعيات تسويق محاصيل	١٤
جمعيات خاصة	٣٦
جمعيات عامة	٣
جمعيات صناعية	٨
جمعيات توفير وتسليف	١
اتحادات تعاونية	٢٢
المجموع	٢٣٠٥

لما انتهى عهد الملكية الفاسد ونجحت الثورة في توطيد دعائم حكم جمهوري تقدمي تطلع رجال الثورة الى النظام التعاوني كعماد للانعاش الاقتصادي والاجتماعي وقد صرح رئيس الجمهورية وبطل الثورة جمال عبد الناصر في عدة مناسبات بان النظام الاقتصادي لحكومة الثورة هو نظام اشتراكي تعاوني يعمل لتأمين العدالة الاجتماعية لجميع افراد الشعب .

ونظراً لتغيير الاوضاع السابقة على الثورة ، فقد رأت الحكومة اصدار قانون جديد للتعاون افضل من قانون عام ١٩٤٤ الذي لم يعد يكفي لحاجة البلاد وقد ذكر وزير الشؤون الاجتماعية والعمل السيد حسين الشافعي في نص المذكرة التفسيرية الخطوط الكبرى للاسباب الداعية لاصدار القانون الجديد فقال :

من اجل الانعاش الاقتصادي ومن اجل تصنيع الريف ومن اجل اقامة التعاون على اساس شعبي ومن اجل خلق طبقه من القادة المحليين ومن اجل وحدة الحركة التعاونية ومن اجل امتداد نشاط التعاون للخدمة الاجتماعية ... الخ

من اجل تحقيق هـــذه الغايات والاهداف الاقتصادية والاجتماعية فقد اقترح الوزير المذكور قانون التعاون الجديد « املًا في ان تصبح الحركة التعاونية منبعثه من رغبة الشعب ومعتمده فعلًا في تمويلها وادارتها والاشراف عليها على الاهالي المنضمين اليها والمكونين لجمعياتها وهيئاتها على مختلف المستويات » .

فصدر القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦ الخاص بالجمعيات التعاونية الذي نص في مواده على احكام عامه مرنه بحيث يتسنى تأسيس اي نوع جديد من الجمعيات التعاونية كما وضع حداً لاستغلال الوسطاء لنظام التعاون فحدد صفة الاشخاص الذين ينشئون الجمعيات التعاونية بالمنتجين او المستهلكين دون سواهم . كما راعى في احكامه المبادئ التعاونية المتعارف عليها في عصرنا الحاضر في المحافل الدولية لاعطاء صوت واحد لكل عضو مهما بلغ عدد الحصص التي يملكها وتحديد مبلغ الفائدة التي يمكن دفعها على رأس المال وتوزيع صافي الارباح على الاعضاء بنسبة تعامل كل منهم مع الجمعية . كما انـه عمم نشاط الجمعيات التعاونية على احد فروع النشاط الاقتصادي والاجتماعي . وادخل القانون فكرة تأسيس جمعيات تعاونية مشتركة وجمعيات تعاونية عامة تقتصر عضويتها على الجمعيات التعاونية وتقوم بخدمات اقتصادية تجارية او مالية . للجمعيات التعاونية التي تنتمي اليها كما اصبح من الممكن تأسيس اتحادات تعاونية نوعية ومحلية وعامة وتكون مهمة الاتحادات تقديم الخدمات التوجيهية والثقافية

كما نص القانون الجديد على احكام خاصة بجمعيات الاستهلاك والجمعيات التعاونية الزراعية لما لهذين النوعين من التعاونيات من اوضاع خاصة .

وكذلك فقد فسح القانون المجال لاعفاءات ومزايا لكل او بعض الجمعيات التعاونية لمساعدتها وتشجيعها في القيام باعمالها على خير وجه ممكن .

وحرصاً على نشر الحركة التعاونية وتدعيمها وتطبيق القانون الجديد لمصلحة الشعب فقد وسعت الحكومـــة جهاز التعاون في وزارة الشؤون الاجتماعية فاوجدت مديرية عامة للتعاون تتكون من الادارات الآتية :

١ ــ ادارة للتعاون الانتاجي
٢ ــ ادارة للتعاون الاستهلاكي
٣ ــ ادارة التعليم التعاوني
٤ - ادارة الاصلاح الزراعي

ويبلغ عدد موظفي المديرية العامة للتعاون العاصمة حوالي (٣٧) موظفاً يضاف اليهم عدد كبير من الموظفين والمرشدين العاملين في حقل التعاون سواء في نطاق الوحدات المجمعة او المؤسسات الاخرى . يعتبر التشريع التعاوني لعام ١٩٥٦ بحق من احدث التشاريع التعاونية التقدمية في العالم اذ يحمي الحركة

التعاونية ويرعاها بشكل يؤمن انتشارها وازدهارها وخاصة ان القائمين على الحكم رجال يعملون باخلاص وايمان لرفع مستوى الشعب وتحقيق العدالة الاجتماعية ويؤمنون بالاشتراكية كأساس وبالتعاون كأسلوب اشتراكي لحل مشاكل الشعب الاقتصادية والاجتماعية .

التشريع التعاوني في الاقليم السوري

صدر في ٢٨ شباط عام ١٩٥٠ قانون الجمعيات التعاونية وبصدوره اصبح للمحاولات التعاونية التي قامت قبل ذلك التاريخ بدير عطية وغيرها من القرى صفة رسمية كما اصبح بالامكان تأسيس جمعيات تعاونية انتاجية واستهلاكية وتصريفية وصناعية وغيرها . وقد جاء في الاسباب الموجبة لذلك القانون بانه بالرغم من ان الحركة التعاونية هي بأساسها حركة شعبية الا ان المطلعين قد لاحظوا تعذر انشائها في بعض البلاد التي اعتاد اهلها على النزعة الفردية الا اذا تبنت الحكومة المشروع واشرفت على تطبيقه بواسطة — دائرة مختصة وقد نص القانون المذكور في المادة / ١٢٤ / على احداث دائرة للتعاون في وزارة الاقتصاد الوطني يحدد ملاكها بقانون خاص كما نص في المادة / ١٢٧ / بان تتبع الجمعيات التعاونية الزراعية في جميع شؤونها المنصوص عليها في هذا القانون الى وزارة الزراعة .

منذ صدور القانون في عام ١٩٥٠ حتى الآن لم تحدث دائرة للتعاون لا في وزارة الاقتصاد الوطني ولا في وزارة الزراعة وكانت اعمال التعاون توكل الى بعض الموظفين غير الاختصاصيين بهذه الامور بالاضافة الى وظائفهم فكانت امور التعاون في وزارة الاقتصاد الوطني مستندة الى مرظف في دائرة الشركات بالاضافة الى وظيفته كما انها في وزارة الزراعة موكلة الى مهندس زراعي يعاونه مراقب ارشاد .

هذا مع العلم بان الوزارة كانت ترفض في كل مرة وضع التسهيلات اللازمة امام المشرفين على التعاون — لزيارة الجمعيات الموجودة وتوجيهها ومساعدتها .

لهذا لم يتسن للتعاون في الاقليم السوري جهاز خاص موحد يقوم على نشر وتطبيق احكام القانون التعاوني ويوجه التعاونيات الناشئة التي لم تلاقي من نساعدها حتى اصبحت كانها غير موجودة لقد تأسست خلال الاعوام الثمانية الماضية / ٥٧ / جمعية تعاونية / ٣٨ / منها تعاونيات زراعية غير ان عدداً كبيراً من هذه التعاونيات لم يكتب له النجاح للاسباب الآتية :

١ — عدم وجود دائرة خاصة للتعاون وموظفين مختصين لهذا العمل .

٢ - فكرة فصل صلاحيات التعاون مابين وزارة الاقتصاد الوطني ووزارة الزراعة .

٣ — عدم وجود برنامج عام مدروس للتعاون بحسب امكانيات البلاد .

٤ — عدم وضوح الفكرة التعاونية في اذهان من كلف بنشرها وفي اذهان الشعب .

٥ - عدم اعطاء التسهيلات المالية للتعاونيات الناشئة .

٦ — عدم تعاون بقية اجهزة الدولة لنشر التعاون ومساعدة الجمعيات التعاونية .

وكان لهذه الاسباب الى جانب عدم تبني الفكرة التعاونية من قبل المسؤولين الاثر الكبير في عدم ترعرع الفكرة التعاونية في مختلف الاقليم السوري بعد تأسيس وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وبعد تغيير السياسة الاقتصادية والاجتماعية للاقليم السوري بقيادة الجمهورية العربية المتحدة كان من الطبيعي ان تتبنى وزارة الشؤون الاجتماعية الحركة التعاونية الناشئة وتعمل على توحيدها والاشراف عليها ليكون التعاون عماد الانعاش الاقتصادي والاجتماعي لرفع مستوى الشعب .

لهذا فقد شكلت لجنة تضم ممثلين عن وزارة الزراعة ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية لدراسة تطور التشريعات التعاونية في الاقليم — المصري وتطور الحركة التعاونية في الاقليم السوري للعمل على توحيد التشريع والاخذ بما يكفل للحركة التعاونية في الاقليم السوري بالانتعاش والتقدم املا بأن يصبح التعاون احد الاركان لبناء مجتمع افضل .

فوجدت اللجنة المذكورة بان يؤخذ بالتشريع المعمول به في الاقليم المصري لما لهذا التشريع من الشمول والمرونة ولما يحتويه من اتجاه تقدمي عملي وذلك مع بعض التعديلات الطفيفة لبعض مواده .

والآن تدرس وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في الاقليم السوري امكانية اصدار قانون جديد للتعاون يماشي التشريع الموجود في الاقليم المصري لتوحيد الاتجاه التعاوني في الجمهورية العربية المتحدة ولمساعدة الحركة التعاونية في الاقليم السوري ومنحها المزايا والاعفاءات والمساعدات التي تتمتع بها الحركة التعاونية المزدهرة في الشق الثاني من هذه الجمهورية الفتية وسيكون التشريع المنتظر ثورة تعاونية تضع بين ايدي الشعب الوسيلة الناجعة لرفع مستواه الاقتصادي والاجتماعي .

دمشق - عدنان شومان
دكتور في الاقتصاد التعاوني

اجازة نهاية الاسبوع

قصة

للكاتبة الصينية البو كووي

تعريب

اسكندر لوقا

كل الامهات كن قدحضرن واصطحبن اطفالهن ، وكل المربيات كن قد تسربلن باجمل ثيابهن وخرجن من دار الحضانة الا واحدة ، كان يجب عليها ان تنتظر ريثما تحضر ام الفتاة الصغيرة ليلى لاصطحابها وذلك كي يتسنى لها ان تنصرف تلك الواحدة المنكودة الحظ كانت انا !

وكنت و « ليلي » بانتظار الام المتخلفة عن الحضور في ميعادها على قلق ملحوظ .. اذ كنا نعلق اعيننا بكل نقطة حمراء تبدو من بعيد ، فيخيل الينا انها سيارة ركاب قادمة ، فينمو الامل فينا اذ ذاك وادمدم بصوت خافت :

– ربما هذا الباص يحمل في جوفه ام ليلي ..

ولكن الباص بعد ان يفرغ بعض ما في جوفه من الركاب كان يمضي ويتركني في قلق اعظم . واما « ليلي » فكانت تتضرع الي قائلة بين وقت وآخر :

– لماذا لم تحضر امي بعد ؟

وكان على ان اجيبها بصبر نافذ :

– لاتحزني . سوف تحضر عما قريب ..

ولم تك « ليلي » تدري باني اكثر شوقا منها لمجيء امها .

ولكي اخفف من كرب البنت الصغيرة ، اذ كانت على وشك البكاء، ضممتها الى صدري وعانقتها بحنان . وحينما احسست بهدوئها انتابتني موجة من التعاسة وكدت ابكي . بيد اني تمالكت نفسي . ولكن سؤالا خطر على بالي :

– ترى ما الذي حال دون حضورها حتى الآن ؟

ومر احد الباصات .. ثم تبعه باص آخر ، ولم يظهر بعد اي اثر للمرأة .

ومالت الشمس خلف المغيب .. فاختفى قرصها وراء الابنية المتعالية نحـــو السماء ، وماجت هواجسي فخاطبت الشمس اعاتبها ببضع كلمات .. ثم انبريت الوم ام « ليلي » على تخلفها في المجيء في الموقف المحدد .

وتساءلت :

– ايخولها كونها طبيبة ان تخالف انظمة دار الحضانة ؟ اولا تدرى هذه المرأة القاسية القلب ان لي زميلا واني معه على موعد ؟ !

ان الجميع هنا ينتظرون حلول نهاية الاسبوع لينعمن بالمسرة والراحة وينفضن عن كواهلهن عناء عمل متواصل خلال اسبوع طويل .. ومع ذلك فان الام القاسية لم يكن يهمها ان تسيء الى والى ابنتها البريئة معا .

ولكن اتراه لايزال ينتظرني لقد تواعدنا على اللقاء في الساعه السادسة والنصف ، وها هي ذى تشير الى الثامنة الا ربعا ، ومع ذلك فلست بقادرة على التكهن متى استطيع ان اتحرر من قيد هذا الانتظار السقيم . اواه ! اتراه لايزال ينتظرني في المكان المحدد ؟

واخيرا .. ومن خلال غبش المساء ، تراءت لي امرأة مهرولة ، وكانت تلوح نحونا بيدها وثمة خصلة من شعرها تتطاير مع موجات الهواء . واذا بالام تدنو منا ولهاثها يختلط بنبرات صوتها المتقطع :

– ياصديقتي العزيزة ليو .. معذرة .. والف معذره ..

ثم انها انبرت نحو ابنتها تدعوها اليها وتضمها الى صدرها وكانت « ليلي » قد استسلمت لغفوة وهي بين ذراعي . فلما بلغها نداء امها اندفعت نحوها في لهفة بالغة وغاصت بين ذراعيها الحانيتين . وحاولت ان اعبر عن سخطي فقلت لها :

– لقد تأخرت ياسيدتي .. او لاتدرين ان اليوم سبت ؟

وعلى الرغم من انها قالت « اني آسفة جدا » اكثر من مرة فاني لم اكن لارضى عن سلوكها ، لكونها السبب في ضياع ساعتين من حياتي . ضياع ساعتين بهيجتين ! فاعدت عليها كلاما خالطه بعض الاستياء :

– ولكنك تأخرت كثيرا .. كثيرا جدا ..

فاكدت لي بانها « آسفة جدا » ثم اضافت قائلة :

– لقد كان على ان اتريث لدى مريضي ، اذ كانت حالته خطرة .. وعلى الرغم من اني نصحته بالامس ان يستريح فقد زاول عمله كالمعتاد ، وكان من جراء تعبه ان اصيب باغماء كاد يودي بحياته ..

ولما كان رأسي لايطيق الاستماع الى امرها وامر مريضها قاطعتها قائلة :

– ولكن .. او لم يكن سواك من الاطباء في المستشفى ؟

– اجل كان ثمة طبيب منهمك في عمل آخر .. ولما كان المريض لايحتمل الانتظار ، فقد سارعت الى اسعافه ..

واني لاازال اتذكر اسم المريض .. انه على ما اعتقد .. شانغ تا – لونغ ..

وفجأة احسب بان الارض تميد تحت قدمي ، فسألتها بصعوبة وانا اكاد لاامالك انفاسي ، خشية ان يكون قد اصاب المريض الذي ذكرت اسمه مكروه .

– شانغ تا – لونغ ؟

– اجل .. ولكنه الان حتما في خير .. فلقد حقنته دواء ناجعا وغادرته في رعاية زميلي الطبيب .. واسرعت الى الباص لشد ما انا آسفة ياعزيزتي ليو ..

وقاطعتها لاهثة :

– لايهم . صدقيني لايهم ..

المهم هو ان يكون زميلي «شانغ» في خير كما قالت الطبيبة .

ومشينا بعد ذلك نحو موقف الباصات ورحت افكر :

– ترى لو لم يكن مريضها الذي انقذته من الموت شانغ تا لونغ ، اما كان يجب علي ان اصفح عنها واشتهي معانقتها كما اشتهي ان افعل الان لاعبر لها عن امتناني وولائي ؟

وطغى علي الخجل من جراء تصرفاتي البشعة معها ، في حين انها لم تكن متذمرة من اداء واجب منعها من رؤية ابنتها اكثر من ساعتين .. فخفضت رأسي ، وترفق بي الظلام فلم يبد لعينيها ان وجهي كان يرتسم عليه تعبير ما ..

واقترب منا الباص .. وسرعان ماغيب الام وابنتها ، ولكن وجه الام مالبث ان اخذ في الاتساع امام عيني حتى اخفى وجه السماء .. وبقي كذلك لوقت طويل .. لوقت طويل جداً ..

وحالما انتقلت الى الرصيف المقابل .. غمرني ضوء باهر .. ثم تبع الضوء احد الباصات .. باص كنت في شوق اليه حقا ..

وما عتمت ان انحشرت بين ركابه .. فسار بنا الى حيث استطيع ان ارى « شانغ تا – لونغ .

طبعت في

مطبعة الجمهورية

دمشق - بوابة الصالحية

بناية الحجار

هاتف ٢٣٥٥٦

ملاحظات الى القارىء

تصدر هذه المجلة الى أيدي القراء بعددها الاول دون أن تكون قانعة تماماً بما حققته من عمل أدبي ثقافي في هذا العدد ولقد وضعت هيئة التحرير لنفسها هدفاً هو ان تتجاوز المجلة نفسها دائماً من عدد الى آخر ، كما ينبغي أن تكون كل ظاهرة حية في هذه الفترة الخلاقة المنشئة من حياة الامة .

ان برنامج هذه المجلة يرمي الى تزويد القارىء بنماذج من مختلف نشاط الثقافة العربية والغربية ، اعتقاداً من الهيئة التحريرية أن أية حضارة عربية حديثة لايمكن ان تثبت مكانها من التاريخ الانساني المعاصر ان هي بقيت عند حدود القوة والمناعة السياسية ولم تحفر تحته العمق الانساني الذي تغذيه الثقافة . ولهذا فلقد اختطت المجلة لذاتها أسلوباً خاصاً بالعمل يقوم على تأليف هيئة للتحرير يساهم فيها عدد من الادباء والاساتذة المثقفين في بلادنا لينصرف كل الى اعداد باب خاص من الادب والفكر والفن في الموسيقى والرسم والرواية والشعر والفلسفة والمسرح والسينما .

وهناك أبواب لاعلام الحضارة الانسانيه التي ساهمت في انشاء التاريخ الروحي للانسانية ، يمكن أن تقدم لاجيالنـــا بعض النماذج في الخلق والعمل ، وانشاء جوهر العصر العربي الحديث .

وسوف يجد القارىء في اعدادنا القادمة باباً خاصاً تحت اسم (شخصية العدد) وآخر للمقال القومي التوجيهي ، وآخر يطرح قضايا النقاش في الثقافة العربية والغربية ، وآخر يعرض (كتاب العدد) سواء في الرواية والمسرحية أو الدراسة .

وهناك باب خاص ببعث تراثنا الانساني التاريخي من خلال وجهة نظر الثورية العربيه المعاصرة .

كما انه ستخصص زوايا لبعض الكتاب والشعراء والنقاد يتصلون عن طريقها بقرائهم اتصالاً شخصياً ينقلون بها بعض ملاحظاتهم ، وشيئاً من قراءاتهم وافكارهم الخاصة .

هذا الى جانب القصص والقصائد والدراسات التي ستنتقى بحسب مقياس واحد هو مقياس الاصالة الادبية والتجربـــة الانسانية .

ولنا كبير الامل في مؤازرة الكتاب والقراء على السواء ولابأس من أن يشاركونا دائماً في مسؤولية عمل المجلة اما عن طريق الكتابة أو المناقشة ، او اقتراح مايساعد على اداء المجلة لرسالتها .

المسرحية في كتاب الشعر

بقلم : عدنان ابن ذريل

كتاب الشعر لارسططاليس دراسة واقعية، تحليلية للشعر، يعالج في الشعر المأساة، والملحمة، يعرف بها، ويحللها الى اجزائها، ويبين وظيفة كل منها؛ وفي الكتاب ايضاً كثير من الاشارات المفيدة والخصبة الى الشعر الغنائي، او الى الملهاة!. واغلب الظن ان مؤلفه اغفل الحديث في الشعر الغنائي فلم يفرده ببحث؛ وانه خص الملهاة بفصل مستفيض، ضاع ولم يصلنا ..

والكتاب محاولة تركيبية، عامة في فهم طبيعة الشعر، ووظيفته؛ وعلى الخصوص احد فنونه المسرحية : المأساة، طبيعتها، ووظيفتها !. وهو ثمرة تأمل فلسفي، كلي، فيه الملاحظة، وفيه التجميع، يتساند فيه التقرير، والتحليل، وتتكامل فيه النظرات الفنية، مع التحليلات البلاغية، الكتاب في الحقيقة، اقرب الى ان يكون تأملا في الفن، والجمال منه كتاباً نقدياً، او بلاغيا. وفيه مع ذلك تحليلات اسرة باهرة في المسرحية وايضاً في الملحمة، تركيبها، اجزائها، وعباراتها، تخلع عليه صفة نقدية، دقيقة، او بلاغية صائبة : لذلك يكبره النقاد، والبلاغيون، ويحلونه محله من والتقدير ويخصونه بالدراسة والبحث ..

يرى ارسططاليس ان الشعر بانواعه محاكاة لاعمال الناس، أي انه من حيث طبيعته تقليد او نسخ، وان وظيفته، خاصة المأساة فيه، والى حد كبير الملحمة ايضاً، تطهير الاهواء، بما يثيره خاصة المأساة فيه، أو ايضاً الملحمة، من فزع، وشفقة.

الفصل الاول من الكتاب نظرة عامة في الشعر، وانواعه، وموقعه من الفنون الاخرى؛ وفيه تحديدات عدة، وموقفه في نشأه الشعر، وتطوره، خاصة الفن المسرحي فيه بنوعيه المأساة، والملهاة، آثرنا للفائدة، الحديث عنه.

يبدأ ارسططاليس بتعريف الشعر، وانواعه؛ فيعرفه، وانواعه، انه محاكاة لاعمال الناس، ثم يشرح دعواه، ويدلل عليها بالامثلة، والمقارنات؛ وللمقارنات عنده اهمية كبرى، وهي بالفعل تحتل مكاناً كبيراً، من دراسته؛ واقرب الفنون الى تدليله الموسيقى، ثم الرقص والرسم ..

عنده ان شعر الملحمة، والمأساة، والملهاة، والديثرامب، وكذلك موسيقى الشبابة، والقيثارة، حين نشملها بالنظرة الكلية، تعد أنواعاً من المحاكاة، وتتباين فيما بينها من وجهات ثلاث : الادوات التي تتم بها المحاكاة، والشيء المحكى، وطريقة المحاكاة.

الادوات التي تتم بها المحاكاة في الفنون الجميلة متعددة، مختلفة، فمن الناس من يحاكون، او يصورون الاشياء بواسطة الصبغ، او الشكل، كما هي الحال في الرسم؛ ومنهم من يفعلون ذلك بواسطة الصوت وهم المغنون، وآخرون بواسطة الايقاع، والانسجام وهم الموسيقيون، في حين الرقص يستخدم الايقاع وحده، وقد تضاف اليه الايماءة ..

والادب، شعره، ونثره يحاكي أي يقلد بواسطة اللغة وحدها؛ اذا حاكى بالنظم كان عمله كلاماً جارياً على أبحر أو بحر واحد، وقد لاحظ ارسططاليس ان عادة اليونان جرت على تسمية الشعر ببحره، ووزنه؛ يميزون الشعراء على قاعدة الوزن وحده، لاحسب طبيعة المحاكاة؛ هم يسمون بعض الشعراء أليجيين، اي ينظمون قصائدهم على البحر الاليجي، ويسمون آخرين سداسيين، اي ينظمون الشعر سداسي التفاعل؛ ويضيف انه حتى الذين ينظمون رسائلهم في الطب، والفلسفة الطبيعية يسمون شعراء؛ والاحرى تسميتهم أطباء، أو حكماء، وان من الشعراء من يستعمل عدة بحور مرة واحدة، وان ذلك لايلزم تسميتهم شعراء، اوعملهم بشعر.

الفنون الشعرية الكبرى تستخدم كل أدوات المحاكاة، وهي الايقاع، والانسجام، والوزن. من ذلك شعر الديثرامب والشعر النومي، والمأساة، والملهاة، مع فرق واحد، هو ان هذه الادوات الثلاث قد تستخدم في بعض هذه الفنون مجتمعة، وفي بعضها الآخر منفردة. تتلو الواحدة الاخرى.

* * *

موضوع المحاكاة هو أعمال الناس؛ والناس يتفاوتون بين خير، وشرير والتفرقة في ذلك تقوم على الخلق !. ذلك يستتبع ان باستطاعة الشاعر تصوير الناس بأحسن مما هم عليه، او بأسوأ، او كما هم بالضبط !. والفنون كافة قابلة لتلقي هذه الفروق، ومن ثم تتباين من هذه الوجهة، وقد دلل المؤلف على ذلك بالرسم، وبأنواع من الشعر.

رسوم بوليغنوتوس أعلى من مستوى الطبيعة المألوف، ورسوم بوزون ادنى منه، ورسوم ديونيسيوس ذات شبه صادق به.

في مجال الشعر الملحمي، والبطولي والهجائي، هوميروس صور الناس بارفع مما هم عليه، وصورهم كليوفون كما هم، وصورهم هجمون التاسي، مبتكر المسائخ التهكمية، وغيره

بأسوأ مما هم عليه .

وعلى هذا الاساس يفرق بين المأساة ، والملهاة ، فان غاية الملهاة ان تظهر الناس بأسوأ مما نجدهم عليه ، وغاية المأساة ان تظهرهم بأحسن .

من حيث طريقة المحاكاة ، اذا أنت وضعت في يد الشاعر الادوات نفسها ، والشيء الذي يريد ان ينقله ، فانه قد يسلك احدى سبل ثلاث : اما ان يقص آنا ، او ينتحل شخصية اخرى آنا آخر ، كما يفعل هوميروس ، واما ان يلزم احدهما ، ويستمر على ذلك دون تغيير ، واما ان يوفق على هواه بين السبيلين .

يضرب المؤلف مثالاً على ذلك فن سوفوكليس ، ثم يستطرد يتحدث في نشأة الادب المسرحي اليوناني .

فسوفوكليس من احدى الوجهات مقلد من صف هوميروس حين يكون السمو بالشخصيات عن الواقع موضوعاً لكليهما ، وهو من نوع آخر مقلد من نوع ارستوفان ، لان كليهما يحاكي بطريقة التمثيل . وهذا هو السبب الذي من اجله في رأي بعض النقاد اطلق على تلك الروايات اسم تمثيليات ، لان الشخصيات فيها تظهر ممثلة لادوارها .

وعلى هذا يبني الدوريون دعواهم بأنهم مبتكروا التراجيديا والكوميديا ، يدعى الميغاريون ، لانفسهم الكوميديا ، سواء ميغاريونان ، في انها نشأت في ظل حكومتهم الشعبية ، او ليفاريو صقلية في انهم نبغ فيهم الشاعر ابيخارمس ، قبل خيونيدس ، وماجنس بزمن طويل .

وادعي دوريو البلوبونيز لانفسهم التراجيديا ، ويستغلون لذلك الاشتقاق اللفظي لكلمتي كوميديا ، ودراما ؛ فالكلمة الدورية التي تعني قرية هي كوم ، وقد سمي الكوميديون نسبة اليها ، لا الى كومازين ، اليونانية ، اي يعربد ، لطوافهم في القرى ، اذ كان يقصيهم عن المدن قلة أقبال اهلها عليهم ؛ ويقولون ايضاً ان كلمة يعمل او يمثل يعبر عنها عندهم باللفظ دران ، بينما يعبر الأثينيون عنها بلفظ براتن .

* * *

والشعر عامة استمد نشأته من منبعين ، كل منها طبيعي المحاكاة ، وهي غريزية في الانسان منذ طفولته ، وباعثه على اللذة ، والتعلم ؛ والايقاع ، والانسجام ، والوزن نوع من الايقاع .

وهو أيضاً ينقسم قسمين حسب تباين شخصيات أصحابه من الشعراء ؛ فمن كانت نفوسهم وقورة ، شامخة ، اختاروا لموضوع محاكاتهم اعمال الشخصيات السامية ومغامراتها ؛ بينما صور الشعراء الفكهون شخصيات الاراذل ، والمحتقرين .

ويذكر المؤلف أنه ليس لدينا من القصيد الفكه ، الخفيف شيء قبل عصر هو ميروس ، ولابد أنه كان هنالك شيء من ذلك ثم يدلل على الحال البدائية ، والبسيطة التي عليها ادب هوميروس وان الكثير من آثاره شبهاً بالفنون الادبية الكبرى . هوميروس في الشعر الجادرواني الجيد ، وهو الى جانب ذلك اول من رسم مجملاً لفكرة الملهاة ، وذلك بانصرافه عن الهجاء المقذع الى المضحك ، ووسمته السخرية بسمة روائية ؛ فلقصيدته مارجيت شبه بالكوميديا ، كما ان لقصيدتيه الالياذة ، والاوديسة شبها بالتراجيديا ؛ ثم انه حالما برزت التراجيديا ، والكوميديا الى الوجود تعلق الشعراء المحدثون بالواحدة أو بالاحرى كل حسب شخصيته ، وتفننه ، فاصبح الفكهون كوميديين هزليين لا هجائين وأصبح أهل الجد شعراء مآسي لا شعراء ملاحم .

المأساة ، والملهاة كلتاهما اذن نشأتا بطريقة مرتجلة عشوائية نشأت الاولى من الترانيم الدينية ، والاخرى من اغاني الطبيعة .

وقد استكملت المأساة شكلها الحقيقي بعد تقلبات عدة : منها ان اسخليوس زاد ممثلا ثانياً ، وحد من مهمة الجوقة ، وجعل الحوار الجزء الاساسي فيها ؛ ومنها ان سوفوكليس زاد ممثلاً ثالثاً ، ولون في المشاهد ، ومنها طرحها الموضوع القصير ، الساذج ، وتحقيقها طولاً مناسباً ، وعلى الخصوص استعمالها البحر الايامبي ، اكثر البحور ملاءمة للكلام العادي : ومنها ايضا الاكثار من الاجزاء القصصية ، والفصول فيها . .

والملهاة محاكاة للشخصيات الرديئة ، وموضوع تحليلها نوع الرذائل ، وهو المضحك ، وهو البشع ، او الخطا ، أو النقص ايضاً ، وهو لا يثير ألماً او اذى في الآخرين .

وقد ذكر المؤلف ان الملهاة بعكس المأساة مجهولة النشأة والتطور ، ذلك انها لم تتلق العناية الجدية اللائقة بها في مراحلها الاولى ، وانها لم تحظ برعاية الحاكم ، ولا قام بالانفاق عليها هيئات عامة الا لعهد قريب من عصره

ويضيف ان ابخارمس اول من ابتكر الموضوع ، او العقدة في الملهاة ، وان العمل اذن يرجع الى اصل صقلي ، في حين كان كراتس بين شعراء اثينا اول من هجر الشكل المقذع للملهاة واستخدم الاساطير الشائعة ، وابتكر قصصاً عاماً لا يمس شخصاً معيناً ، اي انه بعبارة اخرى كون الموضوع الروائي او العقدة الروائية . .

النشاط الثقافي في البلاد العربية

١ ـ الجمهورية العربية المتحدة

كان حصاد الفكر خلال شهر نيسان نشيطاً في الجمهورية العربية المتحدة . وتراوح هذا النشاط بين مقالات ومساجلات ومهرجانات وكتب .

الاقليم الشمالي

اما في الاقليم الشمالي فقدكان بارزاً فيه خلال هذا الشهر اثر الجزائر . وقد نشر ادباء الاقليم الشمالي مقالات وقصائد عديدة في موضوع الجزائر سواء اكان ذلك بمناسبة انقاذ المجاهدة العربية البطلة جميلة بوحريد من الاعدام ، او بمناسبة اسبوع الجزائر الذي افتتح في كافة البلاد الآسيوية والافريقية بناء على قرار مؤتمر التضامن الآسيوي ـ الافريقي .

أ ـ نشاط جمعية الادباء العرب

كان نشاط جمعية الادباء العرب داخلياً طيلةالفترة الاخيرة فقد اقتصرت على اجتماعات الهيئة العامة الدوري ، واجتماعات لجانها المختلفة ، في الشعر ، والقصة ، والدراسات .

وقد استغرقت الاجتماعات الاولى موضوعات التأسيس واستكمال الشروط الضرورية . ومع هذافقدطرحت موضوعات ادبية وفكرية مختلفة خلال جلسات عقدتها الهيئة العامة . منها ركود الادب في الاقليم الشمالي ووسائل تنشيطه ولقد عولج الموضوع من جميع جوانبه : القراء ، والكتاب ، والمجتمع والدولة . وخلص النقاش الى التركيز حول وسيلتين للنهوض بالحياة الادبية . الاولى اجتماعية تتعلق بانشاء المؤسسات والجمعيات الادبية وخلق جو ادبي يعيش فيه الاديب والقارىء عن قرب لتلمس مشكلات الكتابة والقراءة ، كما تتعلق بايجاد دور للنشر نزيهة يشرف عليها الادباء مباشرة بأنفسهم ، وانشاء مجلات لنشر الانتاج وتشجيع اصحابه . والوسيلة الثانية وهي بيد الدولة .. كأن تلغي الدولة الجديدة القوانين المعوقة القديمة التي تمنع تفتح الفعالية الادبية ، وتؤلف بالمقابل مجلساً ، على غرار مجلس الاقليم الجنوبي ، لرعاية الادب وشئونه .

وفي اجتماع للجنة الدراسات ، دعت اللجنة بضعة اساتذة من الجامعة السورية وطرحت عليهم موضوعاً للنقاش وابداء الرأي حول أسس التفكير العربي الحديث . ولقد كان من رأي الاستاذ حافظ الجمالي ترك الفكر العربي لعفويته الحضارية ليجد اسسه ومفاهيمه الخاصة . اذان كل محاولة لايجاد مخطط سابق عليه انما هي عملية مصطنعة قدلا يتبعها الفكر في طبيعته. وكان من رأي الدكتور حكمة هاشم ان الفكر العربي يجب ان يمتاز بالشمولية والانسانية حتى يستفيد من تجربة الحضارات السابقة والمعاصرة ليجد قاعدته ثم ينطلق منها حسب نموه الخاص.

وكان كذلك من رأي الدكتور ابراهيم الكيلاني أنه وان كان الفكر العربي سائراً في طريقه ، متفاعلا بصورة حرة مع تيارات الفكر الحضاري في العالم ، الا انه ينبغي ان تحدد الطليعة الفكرية ما يجب أخذه أو تركه من محصول الحضارة ، وبذلك نساعد الفكر على عملية الانتخاب والاصطفاء التي هو موغل فيها بطبيعته .

وكان اعتقاد الدكتور عبد الكريم اليافي ينصب على ابراز طابع التفاؤل بفكرنا الجديد وأدبنا . وقد لاحظ ان ميزة هذا الفكر تتضح بالتمرد والبطولة والنزعة نحو البناء والخلق ، بينما فكر الغرب وأدبه يسيران نحو الانحلال والتشاؤم . ولهذا يخلص الدكتور اليافي الى انه علينا أن نحدد مواقفنا العملية من تيارات الفكر العربي ، ما يجب ان نأخذه وان ندعه في السياسة والادب كما في الفكر والنظر .

كانت تلك الجلسة التمهيدية غنية بالاثارات الفكرية ، وسر المجتمعون بهذه الروح التعاونية العلمية التي تجعل الافكار الفردية تتضح بهذا الانتقاد الضروري ، فتجد ، في جلسات اخرى من هذا النوع ، طريقها الى الحقيقة والجلاء .

٢ ـ رابطة الكتاب العرب

وقد افتتحت رابطة الكتاب العرب ناديها بحفلة استقبال حضرها عدد من الكتاب وكبار المثقفين واساتذة الجامعة وحضر الحفلة الدكتور شوكت القنواتي وزير الصحة في الاقليم الشمالي .

وبمناسبة اسبوع الجزائر اقامت رابطة الكتاب العرب مهرجاناً تكلم فيه الاستاذ يوسف الرويسي عضو مكتب المغرب العربي في دمشق والقيت فيه قصائد للشعراء : محمد المصري ، محمد الحريري ، شوقي بغدادي ، محمد كامل صالح وقدمت الرابطة في مهرجانها نموذجاً من ادب الجزائر المناضلة في قصة جزائرية بعنوان « الزنزانة السابعة لم تعد تجيب »

واحتفلت رابطة الكتاب العرب في مقرها ايضاً بعيد الجلاء وبذكرى البطل الشهيد عدنان المالكي ، والقيت في المناسبتين عدة كلمات وقصائد جديدة .

ولم يصدر كتاب جديد في دمشق خلال هذه الفترة ، ولكن طلائع معركة بدأت بمناسبة نشر ترجمة في لبنان لكتاب اللامنتمي للمؤلف الانكليزي الشاب « كولن ولسون » فعلق سعيد حورانية في جريدة « النور » الدمشقية على الكتاب فقال مامعناه : ان هذا الكتاب يشكل محاكمة للنظام البورجوازي الذي يدفع الشباب الى اليأس ويؤدي بهم الى نوع من التخلي العميق عن المعركة . وينتهي سعيد حورانية الى ان « اللاانتماء » هو مرض بورجوازي .

ورد عبد الهادي البكار على سعيد حورانية فقال انه كان دائماً ينادي بالناقد المختص وانه ازداد برأيه اقتناعاً بعد ان قرأ تعليق سعيد حورانية على كتاب « اللامنتمي » . ثم يدافع عبد الهادي البكار عن الكتاب وعن ظاهرة « اللاانتماء » ويقول انها لاتعني التخلي ، ثم يقول ان اللامنتمي نموذج من الناس تصادفه في البورجوازية كما نصادفه في البروليتاريا .

ويقول سعيد حورانية تعقيباً على هذا الرد ان عبدالهادي البكار لم يفهم تعليقه على كتاب «اللامنتمي» وانه لم ينقد الكتاب اصلا وانما اكتفى بعرضه . ويقول انه لا يعني بقوله ان «اللاانتماء» هو مرض بورجوازي سوى ان هذه الظاهرة التي يعتبرها مرضية لاتظهر الا في المجتمعات البورجوازية نتيجة لتركيبها الاجتماعي وانه مرض نصادفه لدى كل طبقات الناس في مثل هذه المجتمعات . ويظهر ان معركة « اللامنتمي » بدأت فقط ولكنها لم تنته .

الاقليم الجنوبي :

وامتاز الاقليم بنشاط متنوع من مساجلات الى كتب جديدة والى مقالات .

وثار موضوع « اللامنتمي » ايضاً في الاقليم الجنوبي ، ولكنه لم يحدث معركة بعد . وعلق عليه صلاح عبد الصبور فقال ان من الكتب مايموت بعد قراءته ، ويظل صوته يخفت حتى تطوى صفحته الاخيرة ، فاذا هو ملقى امام القاريء بلا نفع ولا صوت ومنها مايحيا حياته الجديدة بعد ان تطوى اخر صفحة منه ، ان يولد ثانية في عقل القاريء وتظل افكاره ومعانيه تدور في الوجدان كالزوبعة الهادرة . والكتاب الذي يعيش هو الكتاب المزدحم بالناس ، الذي يركز افكاره في قلوب البشر ، ويستمد عمقه من نفوسهم . ومن هذه الكتب الصادقة كتاب «اللامنتمي»

ولعل صلاح عبد الصبور يحكي بهذه الكلمات حكاية المعركة التي ثارت في دمشق والتي ينتظر ان تثار ايضاً .

نقد وتجريح

ونشبت معركة بين يوسف السباعي والنقاد حول مسرحية « مدرسة قتل الزوجات » التي قدمتها الفرقة القومية . فقد كتبت جريدة « المساء » نقداً للمسرحية تقول انها مسرحية فاشلة لعدة اسباب منها افتعال المشاهد المضحكة في المسرحية بمعنى وبلا معنى . وضاق صدر يوسف السباعي بالنقد فكتب يشتم النقاد ويقول انه لايبالي بالنقد لانه لايفهم اغلب ماينشر من نقد . ويقول يوسف السباعي انه عني في هذه المسرحية بأن يضفي جواً مرحاً على المسرح وبأن يمتع الناس المتعبين من الاعمال بفترة من الندامة والضحك . وردت جريدة المساء على السباعي وتساءلت عن مصير المسرح اذا اعتقد المؤلف الكوميدي ان مهمته هي مجرد اضحاك الناس واذا اعتقد مؤلف الدراما ان وظيفته هي استدار الدموع والزفرات.

● وكتب فتحي غانم في « روز اليوسف » بعنوان « المهرج الناجح » يقول ان على يوسف السباعي ان يكتب كلاماً فارغاً كما يشاء ، ومن حقه ان يصف ما يكتبه بانه مزيد من الاسفاف والتهريج . ولكن فتحي غانم يسأل الفرقة القومية عما اذا كانت قد وافقت على تقديم مسرحية « مدرسة قتل الزوجات » لانها من تأليف او من تهريج يوسف السباعي ام لانها من تأليف وتهريج الرجل الذي يشغل المناصب الخطيرة التالية في الدولة :

سكرتير عام مجلس الفنون والآداب ، سكرتير عام المؤتمر الآسيوي ـ الافريقي ، سكرتير جمعية الادباء ، رئيس تحرير « الرسالة الجديدة » احد المهيمنين رسمياً على توجيه صناعة السينما في الجمهورية ، بالاضافة الى عشرات المناصب الاخرى التي يسيطر عليها يوسف السباعي ، ويقول فتحي غانم ان المهرج الناجح لا يفر من تهريجه على الناس . ولكن يبدو ان يوسف السباعي يتربع على مناصبه الخطيرة ، ثم يطلق تهريجه ونكاته .. فلا يجسر احد على ان يقول له « بايخه » .

الموقف الادبي

● وحلل احمد حجازي في مجلة « صباح الخير » الموقف الادبي فقال ان المرحلة الادبية التي بدأت من عشر سنوات حكمت على انتاج كثير من الشيوخ بالاعدام واعتمدت

على الشباب وقليل منهم من استكمل ثقافته الفنية ووظفت انتاج كثير من تلامذتها في المعركة السياسية. ويقول ان اخطاء اساسية وقعت فيها هذه المرحلة منها الاستهانة بانتاج الشيوخ وعزلهم عن المحيط الادبي ، وتعطل عضوية بعض الادباء لمحاولتهم التعبير عن افكار لا يحسونها ، وتحمس النقاد لانتاج لفيف الى الفن لمجرد ان مضمونه الاجتماعي سليم . الا ان هذه المرحلة كانت لها نتائج مشرفة هي ظهور اكثر من خمس دور للنشر تتعامل اساساً مع الشبان وصدور اربع مجلات ادبية في القاهرة وتكريس صفحات يومية في بعض الصحف للادب ونشر برنامج ثقافي في راديو القاهرة يعتمد على نشاط الشبان .

ويقول احمد حجازي ان عندنا جواً ادبياً ولكن ليس عندنا أدباء يأخذون الامكنة التي كان يحتلها طه حسين وتوفيق الحكيم واحمد شوقي في نفوس الجماهير . ويحدد احمد حجازي المسؤول بأنه الظروف الاجتماعية التي نمر بها واستئثار السياسة باهتمام الناس واندفاع الشبان الى المشاركة في المعركة السياسية بانتاجهم وهو واجب في بعض الاحيان . ويهيب احمد حجازي بالادباء الى استكمال ثقافتهم في مختلف الظروف المناسبة للانتاج الجيـــد . يقول : ان ادبنا الجديد يجتاز فترة قلق وتشكك ومراجعة ، ويمكن ان تكون هذه الفترة خصبة تدفع بالادباء الى اصلاح اخطائهم .

نقاش حول القومية العربية

● وحركت المساجلات التي دارت بين سامي الدروبي واسماعيل المهدوي حول ماهية القومية الآن . فكتب عبد العظيم انيس يقول ان التيارات الفكرية المختلفة لاتمنع الوحدة الوطنية التي هي شرط لحماية الوطن ويشرح عبد العظيم انيس الاهداف التي لن يختلف عليها احد وهي : مقاومة الاحلاف الاجنبية والتحرر السياسي والاقتصادي والفكري والحياد الايجابي والتعايش السلمي . ويقول ان الوحدة الوطنية لن تمنع وجود خلافات بين الاطراف الوطنية المختلفة وهي خلافات ثانوية تخضع لمصالح الوحدة الاساسية عندما تواجه الاستعمار ويقول عبد العظيم انيس ان الخلافات في مقومات القومية وتفاصيل نشأتها خلافات ثانوية والذي يجمع الفئات المختلفة هو ايمانها الاكبر بضرورة العمل يداً واحدة وكتفاً واحداً ضمن افكار العدوان الاستعماري علينا . ويخلص في ذلك الى ان هذه الخلافات سنختار الوقت المناسب لاثارتها ولن نسمح بثغرة واحدة ينفق منها صفوفنا . ولذلك فان اثارة موضوع ماهية القومية العربية في هذه الظروف الدقيقة لم يكن مناسباً ولاضرورياً في رأي عبد العظيم انيس ، ومن الاهم في رأيه ايضاً ان نبحث وان نصرف الجهود الى مامن شأنه ان يدعم وحدتنا ويعمقها .

وترد « صباح الخير » على عبد العظيم انيس قائلة ان القومية العربية مفهوم جديد بالنسبة لكثير من القلوب والعقول المخلصة وان مناقشة القومية العربية وتعميق مفهومها عمل اساسي ، له دور بناء في كيان الوحدة . ولذلك فان البحث فيها ضروري ، والمناقشة النظرية شيء لايتوقف ابداً ، ولايوجد اي انقسام ، مادام يستهدف التعليم والتدعيم ، ونشر الوعي .

ويرفض شريف ياسين من حمص مفهوم الشعوب العربيـة لانه في رأيه يفقد مفهوم الوحدة العربيــة المعادية للاستعمار ثوريته ويدفع الى الايمان بوجود قوميات متعددة لاقوميـة عربية واحدة .

اما ياسين الحافظ من دير الزور فيرفض ان تكون العامل الاقتصادي من جملة عناصر القومية العربية ويرفض ان تكون القومية العربية واقعاً موضوعياً مستقلاً عن الرغبات والارادات ويعطي الاولويه للارادة والمبادهة الثورية ونكران الذات كما يرفض الحافظ اخيراً مفهوم الشعوب العربية المترابطة .

اما صلاح عبد الصبور فيعالج الموضـوع من زاوية ثانية ويتساءل عما اذا كانت الفنون الشعبية المختلفة تتعارض مع القومية العربية الواحدة . ويقول ان الذين يزعمون التعارض متسرعون في فهم الموضـوع وان دراسة فولكلور كل قطر من اقطار العروبة على حدة ستقودنا الى اوجـــه من الاختلاف ولكنها ستقودنا في نفس الوقت الى اوجه اهم من التشابه واشمل به الى الوحدة . ويقول صلاح عبد الصبور ان الوحدة ليست التطابق فان اهل قرية من القرى ليسوا متشابهين تمام التشابه فما بالك بسكان رقعة واسعة من الارض . وقال ان الوحدة التي نقصدها هي وحدة الطابع ، ففي الادب هي وحدة الافكار العامة التي تؤمن بالله وبالدين وبالآخرة وتحدد مكانة المرأة الاجتماعيـــة وصورة المجتمع ، وفي الموسيقى وحدة الطابـع الهاديء النغم الحزين التوقيـع ، وفي الرقص ذلك الطابع الجماعي الذي نشهده في حلقات الذكر ورقصة الدبكة والتحطيب وغـــيرها من الرقصات الشعبية . ويقول صـــلاح عبد الصبور ان دراسة الفنون الشعبية المختلفة المظاهر هي ايضاً سبيل الى ادراك الوحدة .

وصدر في منشورات « كتب للجميع » في القاهرة كتاب

بعنوان ١٥ قصة سورية ، يضم قصصاً قديمة منشورة للقصاصين: اديب كلاس ، انطون حمصي ، حسيب كيالي ، حنا مينه ، سعيد حورانية ، شوقي بغدادي ، عادل ابو شنب ، عبد السلام العجيلي عدنان الداعوق ، غازي الخالدي ، فارس زرزور ، فاتح المدرس ، ليان ديراني ، مواهب كيالي ، يسرى البزري .

النشاط الثقافي والادبي بحلب

من خلال الابنية البيضاء المنتصبة ، والقلعة الشامخة الوقور والحياة اليومية الرتيبة التي قد يشعر بها اكثر سكان مدينة حلب وزائريها ، تتجلى موجة من النشاط الفكري والادبي تتيح للموقف فرصة طيبة للاغتناء بمادة الفكر والتزود من المعرفة في المحاضرات والمسرحيات والكتب التي القيت او مثلت او صدرت خلال الشهر الماضي .

المحاضرات

في دار الكتب الوطنية (الجمعة والاحد من كل اسبوع)

١ – الفلسفة والحضارة – للدكتور احمد فؤاد الاهواني استاذ الفلسفة في جامعة القاهرة .

٢ – حول الشعر الحديث – لمعالي الدكتور سليم حيدر وزير معارف لبنان الاسبق .

٣ – اتجاهات الفلسفة المعاصرة – للدكتور زكي نجيب محمود استاذ الفلسفة في جامعة القاهرة .

٤ – المرأة اللبنانية واقعها ومرتجاها – للاديبة اللبنانية ادئيك شيبوب .

٥ – وشائج بين المغرب والمشرق العربيين في الماضي والحاضر – للدكتور عمر فروخ استاذ التاريخ في الجامعة السورية وكلية المقاصد ببيروت .

٦ – الملحمة العربية بين ملاحم الامم – للدكتور زكي المحاسني .

٧ – بين السلم والحرب – للاستاذ خليل الهنداوي .

٨ – الوحدة العربية في الوقائع التاريخية – للدكتور ادمون رباط .

في النادي الكاثوليكي (نصف شهرية)

١ – سرفانتس وحياته المضطربة – للاستاذ جورج سالم .

٢ – فتاة الغد – للآنسة الاديبة ماري بوبار .

المسرحيات

١ – جلنار – (مسرحية غنائية) تأليف الاستاذ انور سردار واخراج الاستاذ محمد البحري . (على مسرح سينما سورية).

٢ – الاستعمار في العصفورية (مسرحية قومية انتقادية) تأليف واخراج الاستاذ عبد المنعم اسبير (على مسرح سينما سورية) .

٣ – مبدأ ايزنهاور – (مسرحية وطنية) تأليف واخراج عبد المنعم اسبير (على مسرح سينما سورية) .

٤ – ابنتي في البار – (مسرحية اجتماعية) تأليف واخراج الاستاذ احمد كيالي – على مسرح دار الكتب الوطنية .

الكتب

١ – الشوق واللقاء – اثنتا عشر قصة وطنية وانسانية للاستاذ فاضل السباعي – العدد الاول من منشورات رابطة الاصدقاء الادبية بحلب – توزيع شركة فرج الله للمطبوعات

٢ – الذبائح – مسرحية باللهجة العامية من تأليف الكاتب المصري الاستاذ انطوان يزبك ، نقلها الى الفصحى الاستاذ انور سردار .

كتب فكرية

ولقد صدر عن مطابع دمشق خلال الموسم الاخير جملة كتب فكرية كان بطلها الدكتور عادل العوا وهي : المذاهب الاخلاقية ، المدنية سرابها ويقينها ومنتخبات اسماعيلية .

وهي في الواقع ظاهرة مبشرة تحيي الامل بمستقبل الفكر في هذا الاقليم .. ان بعض هذه الكتب سيجري نقدها والتعريف بها في العدد القادم .

النشاط الادبي في جامعة دمشق

الجامعة منطلق الجيل المقبل الذي سوف يقود البلاد

الجامعة تضم الطليعة الواعية من مثقفي سوريا .. اساتذة وطلاباً ..

الجامعة التي تضم كل هذه الامكانيات ليس فيها الا بعض المحاولات الفنية التي لا تفجر كل مواهب الشباب ولا تستهلك نشاطه .

فليس في الجامعة رابطة تنظم نشاط الرسامين وتضبط فرشاتهم وألوانها ، ولكن في الجامعة معرضاً سنوياً يقدم فيه الفنانون نتاجهم الذي ينتجونه من تلقاء انفسهم بدون توجيه ولا تثقيف الا مايحصلونه من جهدهم الشخصي وملاحظات بعضهم للبعض الآخر . وليس هناك من يفصل بين خلافاتهم بحزم ، لان أحداً ما ليس مستعداً أن يتحمل المسؤولية ويخاف أن يتهم بالانحياز من جانب الى آخر ، لذلك يتركون لاهوائهم

يخبطون فيها حتى تذوي المحاولة ويهدد النشاط الضائع ويظل الطلاب مهملين : مواهب بدون تثقيف ، ونشاط بلا حافز ، وحماسة بدون توجيه ، لذلك تظل الجامعة بدون مجتمع طلابي حقيقي يعرف أبناء المستقبل بعضهم ببعض ويدربهم على التعاون ويهذب من نفوسهم وأهوائهم .

ولذلك تظل الجامعة بدون اي هدف تقدمي يسعى الى خلق حياة اجتماعية من طليعة واعية اذا لم تدرب على بناء مجتمع جديد في أفكاره ومفاهيمه فسوف تظل التقاليد المهترئة تفترس الابداع في أبنائه وتهدم كل محاولة للنهضة الفكرية والفنية .

من الجامعة يجب أن ينطلق المجتمع الجديد .. المجتمع الذي يفهم أبناؤه الحرية الفكرية والاجتماعية ، ويمارسونها كما يمارسون حريتهم السياسية .

وما لم تقم في الجامعة منظمات للرحلات وحفلات التعارف والاحتفالات القومية ..

وما لم تقم في الجامعة جمعية من الهواة تمارس النشاط المسرحي في شتى أشكاله وما لم تقم في الجامعة جمعية أدبية تقدم المسرحيات الشعرية والنثرية والابحاث بمختلف أنواعها ..

عدد ممتاز عن
المسرحية

يصدر في أول آب القادم خاص بالمسرح العربي والغربي وفيه ثلاث مسرحيات معربة وموضوعة الى جانب الدراسات العميقة حول المسرحية الكلاسية والحديثة في الغرب وحول المسرحية العربية المعاصرة ومشاكل المسرح في العالم العربي .

وما لم تقم في الجامعة جمعيات للرسم والتصوير الفوتوغرافي والنحت والعلوم .. ويعين لكل جماعة مرشد موثوق بثقافته واطلاعه وعدم انحيازه .. فسوف تظل الجامعة ثانوية كبيرة ينشغل الطلاب فيها شهرين كل عام ثم .. لاشيء .

أحكام سريعة من مراسل صباح الخير بدمشق

عقدت مجلة صباح الخير في عددها الاول من شهر مايو فصلاً بعنوان « كيف تفكر دمشق » .. ولعل روح الفكاهة التي تسيطر على الكاتب ، قد ساقته الى مغالطات وأخطاء جنى فيها على كثير من الحقائق .. وأولها أن الدس الذي دار على احدى موائد مقهى « البرازيل » حول قصيدة نزار ، قد اعتبر أن « أفضل جواب عليها هو قصيدة الشاعر عبد الوهاب البياتي التي بدأها بهذا الشكل :

كل ماقالوه كذب وهراء
اللصوص الشعراء
الحواة الاغبياء ... »

وقد اعترض الاستاذ الشاعر عبد الوهاب البياتي على اعتبار قصيدته جواباً على قصيدة نزار ويتلخص اعتراض الشاعر على هذا الكلام في أمرين :

الاول : أنه نشر قصيدته قبل أن تنشر قصيدة نزار .

والثاني : أنه كان يقصد بها محاربة ظاهرة التزوير التي سيطرت على الشعراء حين أرادوا أن يكسبوا « السوق » فقاموا بعملية « فبركة » قصائد لاتمت الى الشعر بصلة لضحالتها وانعدام الصدق الفني فيها ... هذا التزوير الذي يعجب فئة من الناس يعتقدون أن المناسبة تستر العري الفني في نتاجهم وتقربهم - حسب رأيهم - من نضال الشعب .

ثمة ناحية أخرى كان فيها صحافي « صباح الخير » مضللا ومضللاً ، وذلك حين كتب أن « رابطة الكتاب العرب » تقود - منذ قيامها - حركة الادب التقدمي في سوريا بمعناه الواسع » وهذا الحكم الكبير فارغ ليس فيه أي معنى ، وهو ان دل على شيء فانما يدل على كسل الكاتب وتقصيره في البحث عن أوجه النشاط الادبي في سوريا كما يدل على اقتصار الكاتب على رؤية وجه واحد من وجوه الشبان العاملين .

ولقد اصبنا نحن بالاقليم الشمالي بسوء فهم مستمر من بعض أصدقائنا صحفيين المجلات والصحف في الاقليم الجنوبي . وبين عدد آخر من بعض المجلات نطالع بأحكام عريضة تتبع اضخم صحيفة في التعبير عندما تحاول أن ترسم ملامح للحياة الفنية أو الادبية هنا .

وأغلب الظن أن تسرع بعض هؤلاء الصحفيين ناتج عن نوع من عدم التقدير والقياس الحقيقي لامكانيات الحياة الثقافية ولذلك فالرجاء منهم ومن رؤسائهم في مجلاتهم أن يكبحوا قليلاً من جماح العاطفة التي يساق بها صحفي تتلقفه جماعة أو أخرى بدمشق فتفرقه بنعم لياليها والحفلات والاحاديث التي تدور حول موضوع واحد دائماً واتجاه واحد .

مسابقة القصة القصيرة

تحقيقاً لأغراض نادي القصة الذي أنشىء لأجل خدمة القصة واعلاء شأنها . والذي يعتبر من أهم أهدافه اظهار القصاصين الناشئين وتمهيد السبيل أمامهم حتى ينشأ منهم جيل جديد يمكن أن يؤدي مهمته في نهضة القصة وازدهارها .

قرر النادي الدعوة الى مسابقة سنوية للقصة القصيرة ووضع لاجرائها الشروط التالية :

المتسابقون .... ١ - يشترط ألا يكون المتقدم الى المسابقة عضواً في نادي القصة .

القصة .... ٢ - لا تزيد القصة عن ٣ آلاف كلمة .

٣ - يشترط الا تكون القصة قد سبق نشرها .

٤ - تكون القصة مكتوبة على الآلة الكاتبة وعلى ورق فولسكاب من ٣ نسخ .

٥ - النادي غير مسئول عن رد القصة الى صاحبها سواء فازت أو لم تفز .

٦ - يجوز للمتسابقين التقدم بأكثر من قصة .

مواعيد التقديم .. ٧ - يبدأ موعد تقديم القصة الى سكرتارية النادي ٦٨ شارع القصر العيني بين الساعة السادسة والثامنة مساء في كل يوم عدا يوم الجمعة ابتداء من أول مايو من كل عام الى أول يونية .

طريقة التقديم .. ٨ - تسحب من النادي استمارة خاصة تحمل رقماً مسلسلا مكونة من قطعتين تحمل كل قطعة نفس الرقم وتلصق احداها بالقصة بدلا من اسم المؤلف ويحتفظ المتسابق بالأخرى لتقديمها لاثبات حقه في القصة عند فوزها .

رسم التقديم ... ٩ - عشرون قرشاً تدفع نقداً عند استلام الاستمارة أو باذن بريد لارسالها بالبريد .

لجان القصص .. ١٠ - تشكل لجان فرعية كل لجنة من ثلاثة اعضاء لتنتخب من القصص المتقدمة أحسن خمسين قصة على أن تنتهي من عملها في موعد اقصاه أول يولية .

١١ - تشكل لجنة نهائية لانتقاء أحسن عشر قصص من الخمسين قصة المنتجة وتقدمها بترتيب الأفضلية على أن تنتهي من عملها في أقصاه أول اغسطس ويجوز ان يستعين النادي في اللجان الفرعية بغير أعضاء النادي على انه يتحتم ان تكون اللجنة النهائية من أعضائه .

١٢ - تعلن نتيجة المسابقة في أول اكتوبر .

الجوائز .... ١٣ - يحصل الفائز الاول على المدالية الذهبية للقصة القصيرة مهداة من الدكتور طه حسين و ٦٠ جنيه ستين جنيهاً مكافأة .

١٤ - ينقش اسمه على لوحة الفوز المعلقة في النادي (مهداة من يوسف السباعي)

١٥ - اذا تكرر نقش أسمه باللوحة ٣ مرات ضم الى عضوية النادي مع أعفائه من رسم الدخول .

١٦ - يمنح الفائز الثاني ٣٠ جنيه ثلاثون جنيهاً .

١٧ - يمنح الفائز الثالث ٢٠ عشرون جنيهاً .

١٨ - تمنح بقية القصص العشرة خمسة جنيهات .

١٩ - تنشر القصص العشر مع تقديم للمؤلفين بواسطة نادي القصة في سلسلة الكتاب الذهبي .

٢٠ - تزكى الاربعين قصة الباقية من الخمسين قصة المنتجة للنشر في مجلة الرسالة الجديدة وروز اليوسف والتحرير وصباح الخير بمكافأة .

سكرتير عام نادي القصة

يوسف السباعي

فهرس العدد